الأعمال الشعرية الكاملة



الأعمال الشعرية الكاملة

الكتاب: **الأعمال الكاملة**

المؤلف: حكم البابا

شعر

الناشر:

جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية

info@jidar.net | www.jidar.net

الطبعة الأولى 2025

الترقيم الدولي: **978-1-326-20221-7**

التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

THE COMPLETE POEMS

Aouther: Hakam Al Baba

Poetry

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

.Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions

ISBN: 978-1-326-20221-7

سلسلة الأعمال الشعرية

قصيدة النثر العربية

جدار للثقافة والنشر

حكم البابا

الأعمال الشعرية الكاملة

شِعر

المحتوى

قصيدة «حَكم البابا»

اللغة البسيطة الشفافة للتعبيرعن العصيان المستمر

قلت لصـــديقتي ســـورية/ -ما رأيك أن نقوم بنزهة/ وركضـــنا معاً إلى أرض مهجورة/ أطلقوا عليها فيما بعد/ اسم الكرة الأرضية/ قلت لصديقتي:/ -تعالي نجلس هنا/ ثم أخبرتها عن حبي لجارتي الأولى/ التي تقذف نافذتي بحصـــاة دقيقة/ لتوقظني في الفجر/ وتريني صـــباح جســـدها العاري./ وحدثتها عن الحرية والاســتقلال/ والعشــاق الكثيرين/ الذين يبحثون عن أراض مهجورة/ والتهمنا الراحة بالقشـطة/ التي اشـتريتها من بائع في الشـعلان/ قلت لصديقتي وأنا أنظر في عينيها الزرقاوين:/ -إذا زرعتك هنا ســـأحصـــل على صـــديقات فاتنات/ فصـدقتني واندسـت بالتراب/ كنت أغمرها بالقبلات/ حيث خرجت من عينيها البحار الواسـعة/ وصـار جسـدها شـواطئ رملية طويلة/ ونهداها سلسلة من الجبال المغطاة بالثلوج/ وولدت المدن في كل قارات جسدها.

هذا النص من مجموعة حكم البابا الصـــادرة عام 1982م، وهو بعنوان «ســوريا». وجاء ضـمن المجموعة الشـعرية [عصـيان] الصـادرة قبل ما يقرب من نصـف قرن، وهي باكورة إنتاج «حكم البابا» الشـعري، الذي اتسـم نتاجه بالغزارة الإنتاجية في فترة محددة فقط، إذ في أقل من عقد واحد من الزمن (1982-1991) أنتج ست مجموعات شعرية، وقصيدة واحدة هي [سـورة ريم 1986] التي جاءت في 12 صـــفحة. وقد عاش البابا 21 عاما قبل إصـــدار مجموعته الشعرية الأولى، ثم عاش 32 عاما بعد إصداره مجموعته الشعرية الأخيرة [ما تبقى من كلام 1991]، أي أن نتاجه الشعري ينحصر في عقد زمني واحد، قبل أن يتحوّل إلى كتابة السيناريو ويبرع فيه، لكنه سيناريو لمسلسلات وسهرات تلفزيونية ساخرة، سخرية بطعم المرارة، كما عمل في الصحافة، إلا

أنه حين رأس تحرير أحد أعداد جريدة (الدومري 2003) تسـبب في مصـادرة العدد وإغلاق الجريدة نهائياً.

هذه اللمحة تعطينا تصوراً يمكن أن يصلح مدخلاً لقراءة شعر حكم البابا، بل وقراءة حكم البابا ذاته، وقراءة الحالة الثقافية لوطنه في تلك الحقبة التي نشط فيها شاعراً ثم كاتب سيناريو وصحافياً، فهو ابن شرعي للعصيان، حتى إن مجموعته الشعرية الأولى تضم ثلاثة عشر نصّا، العديد منها يحمل عنواناً دالاً: (دعوة للجميع، تكوينات، نشيد صباحي، جمهورية القهوة، مدينة مكسورة، سوريا، وحشة، ظمأ). إذ نجد أنفسنا كقراء نقف في مواجهة تجليات مختلفة للعصيان ومسبباته، حتى قصيدته التي جاءت بعد قصيدة عصيان المفتتح بها ديوانه الأول، وهي قصيدة «صباح الخير» لا تخلو من رمزية وإسقاطات سياسية: «منذ القرن الأول للصباح/ بصوته الجهوري المشمس/ وقف رجل وقال بطلاقة:/ -صباح الخير/ ورغم إنجازه الباهر / لم يمنحه أحد جائزة نوبل للسلام/ أو أي وسام من الدرجة الأولى/ حقاً إنهم لم يقوموا بعمل مشرف من أجله حتى الآن! / ولكننا جميعاً نقول باستمرار:/ -صباح الورد». فنحن أمام زمن يتم حسابه بعشرات السنين، وأمام فعل عادي «صباح الخير» حين يتحوّل إلى منجز ضخم يستحق جائزة نوبل، فقول صباح الخير على أرض بعض الجغرافيا يُعدّ فعل مقاومة وعصيان، ليختم نصه الذي لا يوحي عنوانه إلا بالسلام بعبارة موجعة: «لكننا جميعاً نقول باستمرار: صباح الورد»، اختصاراً لذهنيّة العصيان العام، فالعصيان قائم على التراكم، كما يقوم على التآزر حين يمارسه الجميع، وعلى الاستمرارية كذلك: «صباح الورد».

هذا ما ستجدونه في المجموعة الكاملة للشاعر حكم البابا، الرسالة التي كرّس لها حياته شاعرا وكاتبا ساخرا للسيناريوهات، وصحفياً لديه كتاب في نقد الصحافة السورية يمليه على قرائه بوصفه شاهد عيان. وما قصيدة «سوريا» التي افتتحت بها هذه المقدمة إلا دالا مباشرا على عوالم هذا الشاعر

الذي يحمل وطنه معه أينما ذهب، ويحاول أن يَهديه الطريق، فسوريا قصيدة نثر يمتزج فيها الحميمي اليومي بالبعد الوطني الكوني، وهي النص/ الوطن/ الفتاة، وهي فعل عصيان لا ينتهي لأن جسدها بحار وجبال وقارات. وغالبية نصوص حكم البابا الشعرية ستمارس علينا، كنص سوريا، لعبة الإثبات والنفي، كما ستسلّط على القراء رغبتها الشديدة في نقض الدوال التي جعلتها الرواية المتواترة لمدلولاتها غير قابلة للمساءلة، إذ حين يتحدث عن سوريا يحملنا إلى القارات المختلفة، فسوريا صديقة يتنزه معها في أرض مهجورة هي الكرة الأرضية. ما يجعل معنى الوطن منفيّا لكون الشاعر خارجه، ومثبتاً لكون الوطن داخل الشاعر بوصفه صديقته، وبوصفه المكان الذي لا ينطبق عليه وصف المكان المهجور المنسحب على بقية بقاع الأرض بسبب أنها لا تعني له شيئا. ثم ينتهي النص بصورة أشبه بالسيناريو السوداوي: تندس صديقته في الرمال ليمطرها بالقبلات فينبت العالم بكافة تمظهراته، لنعود إلى فكرة تلازم شعر حكم البابا دائماً، ألا وهي إخراج الدوال من مكمنها الذي استقرت فيه بسبب من كسل قرائي، وأخذها بعيداً لتجعل من نصوصه رهنا بالموسوعة القرائية لمتلقيها، فلا شيء نهائي، ولا دال قار إلى الأبد، ولا وطن لا يحتمل الرحيل إلى أقاصي الروح لتعاد صياغته في كلّ مرّة، بل ومساءلته على الدوام.

إن المدهش في لغة حكم البابا الشعرية هو أنها تنفتح بشكل دائم على فضاءات لا محدودة من الصور السوريالية، كما تحمل الكثير من الأسئلة الفلسفية: «أيتها المرأة الغائمة/ لماذا لا تهطل عيناك؟» مثلما في قصيدة [حزن]. كما أن لغته حامل مستمر للفضاء الجمعي، البشر حين يجمعهم هم واحد فيذوب الكل في واحد، لتصبح لغته حالة من التصوف تحت وطأة القمع الذي لا يرحم، والاستلاب الذي لا يلقي بالاً للمهمّشين: «يجلسون في الدوائر الحكومية/ على كراسي القش العتيقة/ ويلوثه الأصدقاء ومحررو الصحف اليومية/ برذاذ الشتائم اللامعة/ وتصنعه حروف المطابع الرصاصية/ ضئيلاً هكذا/ في حجم السلامية الأخيرة للإصبع الصغير/ وأرسمه بخطوط جميلة/

على صفحات دفاتر الإملاء والتاريخ/ ورسائل الحب» كما في قصيدة [إنسان]، فدلالة العنوان، وكل ما يليه مما يحاول الشاعر جاهداً أن يقوم بتحويله إلى شيء له معنى، بعيداً عن عدمية الأوطان التي تختزلها الحكومات في الشعارات، مثلما تختصرها الشعوب في الشتائم والرفض فحسب. لهذا ليس من نفل القول إن ما تنتجه لغة البابا الشعرية لا يمكن إلا أن يكون جوهراً واحداً مركزه هو الاحتجاج على العالم الملبّد بالشعارات والمسكون بالوعود المزيّفة، حيث يتحول الشاعر دائماً إلى البحث عن معنى للوجود والكتابة في وسط كل هذه الفوضى.

وقبل الختام، سأتوقف مع قصيدة [شكرا]، القصيدة ما قبل الأخيرة من مجموعته الشعرية الأخيرة [ما تبقى من كلام 1991]: «شكراً للعذوبة في المرحبا إذ نلتقي/ للدلال يملكني الأنوثة كلها/ لغمازة الخد/ لليد، إذ تغيث كفي الباردة/ لوادعة الحوار/ رقدته السماوية في القلب/ للراحة الوثيرة تسوي ياقتي/ تهدئ ارتباكي، ويهفوا إليها خدي/ ويغفوا عليها.../ لبهجة نلمها من مساءات الخريف،/ من غيمه، من لسعة البرد الخفيف/ لشهوتي كي أراك/ - يا ليتني من فرو الثعالب كيما أرد البرد عنك –/ شكراً إذ تضحكين من أماني البسيطة/ إذ بالضحك البريء تمنحين الروح للأشياء/ فيصالحني النبيذ/ وأرقُّ/ وتهجرني كآبة المساء»، فهو النص، والذي جاء بمفردات مختلفة وجو شعري مختلف وسردية مختلفة عن نص «سوريا 1982»، إلا أنه حمل ذات الهم، ففي نص [شكرا 1991] هناك كلمة مفتاحية تتكرر بإيقاع مستمر، وكأنها تلويحة وداع للشعر وعوالمه، كما حمل النص في طياته الكثير من الرموز الدالة على اليومي المعتاد والوجداني: القلب، خدي، مساءات الخريف، الغيمة، البرد، الضحك، المصالحة... إلا أن نهاية النص «تهجرني كآبة المساء» تتواشج مع ما نلمحه من ارتباك الشاعر في بدايته: «تهدئ ارتباكي»، لنعلم يقيناً أننا أمام نبرة وجودية تتساءل عن معنى الاكتمال. فالنص الذي يبدأ بمرح الطمأنينة سينتهي، عند البابا، بتأمل في الفراغ والخوف ولارتباك

كمكونات أساسية من مكوّنات الحياة. وهذه هي الحركة الشعورية التي تعكس توتر الدفء الإنساني، وكذلك كل مظاهر الوجود، بين الفرح والقلق، وبين الحضور والغياب.

ولعل قراءة شعر حكم البابا بحاجة إلى مساحة أكبر للوقوف على ما يميزه، وما جعله إضافة هامة لمسيرة الشعر العربي في العصر الحديث، إذ يصعب في مساحة محدودة كهذه الإحاطة بعوالم شعرية يتصاعد فيها التوتر بين الغضب الشخصي والاحتجاج الكوني لكتابة تبحث عن الحرية في اللغة، كما تقاوم مأساوية هذا العالم عبر الانفجار الشعري المستمر وغير المتوقّع، والذي يقابل بين الصور ويعيد صياغتها، بل ويسخر منها. ولعل من أبرز ما سيلاحظه القارئ الكريم، هو أن نثر البابا قائم على التكرار وتوازي الجُمل، مع اعتماد المقطع المستقل كوحدة شعرية، إضافة للحس السردي المكثّف الذي لا يستقيم بتوالي الأحداث بل بتضادها وهدم بعضها لبعض، إضافة إلى خصوبة خياله وصوره السوريالية، إذ تجمع نصوصه بين الواقعي والخيالي، فالأشجار تأخذ بطاقات شخصية، السماء تُحمل على الأكتاف، والحبيبة تتحول إلى قارات وبحار وجبال. هذا التخييل الذي يمنح نصوصه طابعاً أسطورياً ورمزياً. كما نجد أن هناك حضوراً للصوت الاحتجاجي البارز في شعره، ممثلاً في نقد العالم الملبّد بالعنف، واللغة المزيّفة التي لا تطابق المعنى، ونجد حضور التاريخ والسلطة (نيرون، كولومبس). حين تتحول القصائد إلى فضاء سياسي-وجودي للمقاومة. كما يوظف البابا الجسد الأنثوي في شعره بوصفه رمزاً للخصوبة والحياة والحرية، فالمرأة/الحبيبة/الوطن ما هي إلا تجسيد عبر صور حسية لما يريده لهذا العالم من خصوبة، والجسد، عند البابا، قارة يجب اكتشاف كنوزها التي تتقاطع مع الطبيعة: فالنهدان جبال ثلجية، بينما الضحكة الأنثوية هي التي تصالحه مع العالم. كما تتنوع النبرة في شعره بين الغضب (الأحقاد الصغيرة)، وبين الامتنان (شكراً)، وترسم الحلم بوصفه

اكتشافا ما ورائياً. مع ما تتسم به لغة البابا من بساطة وشفافة، لكنها لغةٌ مشحونة بطاقة رمزية عالية.

كما يمكن القول، ختاماً، إن شعر حَكم البابا يقوم على مرتكزات القصيدة النثرية بسماتها السريالية والرمزية، ويزاوج بين الحب والحرية، وبين اليومي والكوني، وبين الامتنان والغضب. فهو شعر احتجاجي ووجداني في آن، يحتفي بالمرأة/الوطن كفضاء للخصوبة والدهشة، ويعيد تشكيل اللغة لتكون أكثر صدقاً وقدرة على التعبير. فنحن، بهذا، نقف أمام شاعر يمتلك زمام نصوصه ولغته حتى أنه يمكن القول إن هذه المجموعة الشعرية الكاملة، التي تنفرد جدار للثقافة والنشر بتصديرها في ملزمة واحدة، تسير على خطى الشعراء العالميين الذين جعلوا من قصيدة النثر مساحة للاحتجاج الوجودي، وفضاء للتعبير الجمالي المدهش.

حامد بن عقيل

20 أغسطس 2025م

عصيان

1982

بحب

إلى أصدقائي سكان الكرة الأرضية

عصيان

لا يوجد في الجبال ثلج كاف للتزلج
هنا فقط على قطعة من الزبدة على الرف
وليس من عصي تصلح للانزلاق
هناك: سكين مثلومة، وجوع حاد
وأقدام مفلطحة كالزلاجات

*

سكين فقط قد تستعمل يوماً لجز الشريان
وإخماد اللهيب كخرطوم عربة إطفاء
أو لبتر الرأس والإطاحة به إلى السهول الخضر
واحتراف لعبة كرة القدم
عندئذ لن نحتاج لعصي التزلج مطلقاً

*

جوع نهم وأضراس قاطعة في مواجهة العالم
أسنان صفراء وبيضاء غير مثلومة
لأنها لا تأكل الحلوى
سنزيل قشرة الكرة الأرضية
ونقتسمها بالتساوي كتفاحة ناضجة

*

أقدام لا تغمض جفنيها مطلقاً
تتنشق التراب والبيادر

وتزفر الجليد والإسفلت من رئتيها بقوة
فيما يغمطها البعض حقها
ويقفلون عليها داخل الأحذية الكتيمة

*

سكين مثلومة، وجوع حاد، وأقدام مفلطحة
موظفون للتزلج فوق قطعة الزبدة
قطعة صفراء، ضئيلة، ومؤذية
يمكن لسكين حادة تقسيمها إلى عشر قطع
ولأسنان طرية ادخارها إلى عشر وجبات
لكنها لن تكفي جائعاً واحداً
ومع ذلك أطيل التحديق بالزبدة
ولا بأس باستقبال جائع آخر
أو نصف مليون جائع
سنتزلج جميعاً متلاصقين كسور متداع
ولا يمكن لقطعة زبدة أن تكفينا وإذن سنطالب بكوكب من الزبدة
سنعلن الإضراب على الجوع
هل أنتم مع الإضراب؟
أم مع الزبدة؟

صباح الخير

منذ القرن الأول للصباح
بصوته الجهوري المشمس
وقف رجل وقال بطلاقة:
-صباح الخير.
ورغم إنجازه الباهر
لم يمنحه أحد جائزة نوبل للسلام
أو أي وسام من الدرجة الأولى

حقاً إنهم لم يقوموا بعمل مشرف من أجله حتى الآن!
ولكننا جميعاً نقول باستمرار:
-صباح الورد.

صداقة

الشارع المنطلق كرصاصة أمام غرفتي
له ملء الحرية بصداقتي
وليست لدي شروط لصداقته
أنا لا أطلب سوى أن يكف عن الضجيج
عندما أبدأ بالكتابة

ويعرض أمامي الفتيات الجميلات
قبل أن أحتسي قهوتي الصباحية
عند ذلك سأشبك ذراعي بزنده الكالح
ونمشي سوياً في الأمسيات
وأطل عليه منذ الصباح الشاسع
حتى منتصف الأرق
وأداعبه إذا عبرته شاحنة وقحة
سأكون ممتناً كثيراً لو أرسل لي فتاة جميلة
تحضن باقة ورد أحمر وأكافئه بتقديم كأس من الشاي الحار
وأخفيه في غرفتي عند هطول المطر
وأزوجه من تلك الساحة البدينة
التي لا تبعد كثيراً

دعوة للجميع

أيها الله
لماذا خلقت هذا العدد الفاضح من النساء الجميلات؟!
لمن نقدم أفواهنا إذن؟
نحن لا نملك إلا فماً واحداً
وشفتين
وملايين القبلات الصغيرة

التي تستطيع أن تزنر الكرة الأرضية عدة مرات
ولا تكفي خط الاستواء في جسد امرأة واحدة.
فيما نحن لا نملك هذه المرأة
مرغمين نستعيض عن شفاه النساء
بصنابير المياه النحاسية.

تكوينات

إلى ممدوح عدوان

قبعات
ومعاطف
وأحذية
يدعونهم: -الرجال.
أعط لهؤلاء مسدسات ورصاصاً
وأجساداً ناضبة
سيقدمون -وبكل سرور-
ضحايا ودماء
نحن نسميها: المجازر.
وندعوهم: القتلة.
كم هي فظة أقلامنا!
عندما وبأقل من ثلاثين كلمة
تنشئ مجزرة!

مرحباً يا صديق

السرير المستوحش في غرفتي
سريري الكسول المستلقي دوماً
والذي هجر زوجته في المدينة الأخرى
وسافر معي بملاءاته وأغطيته
ينظر بعينيه البنيتين إلى الجدار طوال الوقت
كثيراً ما أحزن من أجله
وأقرأ له قصائد مترجمة
واسر له بأحلامي البذيئة
ومع ذلك فهو يدير لي ظهره
ولا يحدثني مطلقاً
ولكنه ضحك بصوت خفيض
عندما نام صديقي بجانبي ذات ليلة
كأنه يقول: مرحبا يا صديق
ثم عاد صامتاً
لعله يبتهج غداً
حين أعرفه على صديقتي الجديدة
ربما سيضحك بصخب
عند كل حركة نقوم بها!!

نشيد صباحي

كما يؤدي تلاميذ المدارس في الصباحات
التحية للعلم الوطني
ثم يذهبن أرتالاً إلى الدراسة والشغب والعقوبات
لماذا لا يقف طلاب مدرسة الكرة الأرضية
فجر كل صباح
وينشدون بصوت شامل:
-عم خيراً أيها الصباح
ثم ينطلقون إلى القهوة والعمل والثورات والحب.

جمهورية القهوة

حالما أصحو في الصباح
تأتي قرية القهوة بأثوابها المزركشة
نحو الساحة المعدنية على المنضدة
وتعقد حلقة الرقص
احتفاء بقدوم صباح جديد
وتهدي فمي فتاة القهوة الجملية
بردائها الناصع وجديلتها السوداء

كم تبدو سخية جمهورية القهوة؟
حين تقدم هذا العدد الهائل من مواطنيها
لشفاهنا وصباحاتنا؟

مدينة مكسورة

عندما يأتي الصيف
سأذهب إلى مدينتي المحتشمة
وأصحبها إلى البحر
سأروي لها قصصاً كثيرة
عن المدن الفاجرة
التي تقدم أثداءها لنا
ولكن دون مودة
والقرى الفتية التي يؤجرونها
في قصور المدن المتزوجة
لإحضار الخضار والحليب واللحم
وشقائق النعمان البرية
ثم نغطس سوية في البحر
حتى تبتل أرواحنا اليابسة
وتتراشق بالمياه الكثيرة هنا
ولكنني أخشى أن تضيع مياه نهرها الرضيع

عند ذلك سنجبر على شراء الصمغ
ولصق طرفي المدينة
التي كان يقسمها النهر دون مساواة.

سوريا

قلت لصديقتي سورية
-ما رأيك أن نقوم بنزهة
وركضنا معاً إلى أرض مهجورة
أطلقوا عليها فيما بعد
اسم الكرة الأرضية

قلت لصديقتي:
-تعالي نجلس هنا
ثم أخبرتها عن حبي لجارتي الأولى
التي تقذف نافذتي بحصاة دقيقة
لتوقظني في الفجر
وتريني صباح جسدها العاري.
وحدثتها عن الحرية والاستقلال
والعشاق الكثيرين
الذين يبحثون عن أراض مهجورة

والتهمنا الراحة بالقشطة
التي اشتريتها من بائع في الشعلان

قلت لصديقتي وأنا أنظر في عينيها الزرقاوين:
-إذا زرعتك هنا سأحصل على صديقات فاتنات
فصدقتني واندست بالتراب
كنت أغمرها بالقبلات
حيث خرجت من عينيها البحار الواسعة
وصار جسدها شواطئ رملية طويلة
ونهداها سلسلة من الجبال المغطاة بالثلوج
وولدت المدن في كل قارات جسدها.

نافذة الجبلية

صديقتي الجبلية الفاتنة ليلى
تفتح نافذتها في الصباح
لتطل على الجبل وعلى وجهي
وتقول لي باستمرار:
-أحب أن أشاهد الجبال دوماً
ومع ذلك
تحدق طويلاً في وجهي

هل تظن أنها سترى ثواراً
ببنادق قديمة
وعيون حادة
مختبئين في جرود وجهي؟

وحشة

كان عود الكبريت الوحيد ممدداً
بجسده الناصع وشعره الأحمر
يحدق في جدران غرفته الضيقة ضجراً
وليس هنا امرأة تلامسه
بسلامياتها المبللة
برائحة الطعام والود
فيما يذهب أصدقاؤه ذوي الشعر الناجم
للنزهات والسباحة في النهر ضاحكين
دون أن يخشوا البلل.
متى يلف العود الخشبي
جرحه الأحمر بالضمادات البيضاء
ويكف عن إشعال الحرائق
حين يغادر غرفته!

ظمأ

إنني أبحث عن نبيذ شجاع
يستطيع أن يدبر كميناً لذكرياتي
ويوثقها في حفرة الكأس
كي أتمكن من جز رأسها الضال
وتقديمه لأول لقيط يبحث عن ماض
هل تصلح المرأة السمراء
كالبيرة الساخنة؟

عندما أحوط عنقها بأصابعي
وألصق فمها بشفتي الظامئتين
وأفرغها في جوفي
حتى تبدو شفافة كالزجاجة الفارغة
وليس من مشكلة
سوى أني أعجز عن انتزاع غطائها المنيع

مرّ من هنا

1984

كتبها حكم البابا، في 7 تموز 2006 الساعة: 12:26 م

قصائد حب

إلى «ناتاشا بوردكو»

التي تضحك وتقفز وتغني

عن المدن والنساء والعصافير المجهولة

طوال حياتي لم أستلم رسالة واحدة
عليها طابع أخضر ممهور بخاتم آسيوي
أنا وبقال حينا
مجهولان بقوة في أمريكا
رغم ذلك
لي أصدقاء ولي أعداء
في كل ميل بحري وفي كل كيلو متر بري
بدءاً من الصين وحتى إسبانيا
وبدءاً برأس الرجاء الصالح وحتى آلاسكا

ناظم حكمت

محاولاً أن أبدأ هذا النشيد أو الجناز -كما أحب أن اسميه- أبدأ بالكتابة عن آخر الأصدقاء. والأصدقاء هنا ليسوا فقط هذا العدد الممتع من الحمقى الذين يثملون لمرأى العشب أخضر ونديا، بل -بإتقان يجب أن أكرر هذه الكلمة الضئيلة- بل هم أيضاً:

العالم، والثلج، والسماء، والمدن.. آه المدن.

كانت المدينة الأولى التي شربت فيها قليلاً من الخمر والماء النظيف خافتة إلى أن حدثت مجزرة غير معلنة لا يعرفها إلا أنا، وعدد من القتلى لأنهم ماتوا، وعدد من الأمهات لأنهن يبكين، وعدد وافر من الجدران التي لم تعد صالحة

للتزيين بالرسوم والسجاد وصور الأجداد ذوي الشوارب المفتولة لأنها اقتيدت كحجارة إلى مكان آخر ليس مهماً تماماً.

.. والمدينة الثانية كانت امرأة بحرية جميلة هاجرت إليها بكلي فكرهتني، كانت تكرهني بوقاحة حتى أنها تتمنى موتي. وأنا رغم ذلك جلست كضفدع لا أملك أكثر من نقيقي.

والمدن الأخرى أجلستني على الأرصفة وحيداً دون عائلة، وكنت هناك أبحث عن طريق لكي أعود إلى مدينتي الصغيرة، وإلى بيتي الأول، وإلى أسرتي الأولى لأنعم بجمر العائلة الدافئ.

ثم ذهبت إلى مدينة لا أعرف لغتها، فقط أعرف الآن كم كانت قارسة وصقيعية، وبأي مقدار كانت تكرهني. ورغم ذلك هناك قدمت لي صبية يهودية جميلة اسمها << أولا رودينا >> قصائد كثيرة لسيرغي يسنين، وامرأة داغستانية شرقية تدعى << ازمرود >> أعطني كتاباً لألكسندر بوشكين، وطفلة روسية اسمها << لودا >> دست في يدي كتاباً عن السجون، ولكن << ناتاشا بوردكو >> فقط في اليوم الذي يسبق ذكرى ولادتي أهدتني ورداً ومظلة سوداء واقية من المطر، وسمحت لي أن أقبلها للمرة الأولى.

في جميع المدن كنت أحن إلى تلك الزاوية الصغيرة التي خربت فيها حياتي. وكم يبدو غريباً على الأقل بالنسبة لي عندما أعود إلى مدينتي البعيدة، فأحس بالوحشة لجميع المدن الصغيرة والكبيرة التي أعرفها – أعني المدن والنساء والأصدقاء والشجر، والكتب – وأتشوق إلى جمعها في أحضاني آه.. كم أرغب الآن في جمع كل ما أعرفه في زاويتي الصغيرة.

.. ولأنني أعرف جميع هذه الأشياء الصغيرة والكبيرة فأنا لا أعتقد أن ما عشته كان استراحة متواضعة في محطة ما.

بالنسبة لكم يا سكان الكواكب المجاورة لقد مررت من هنا فقط. أما بالنسبة لأربعة مليارات من البشر يعيشون في حارتنا الصغيرة التي تدعى الكرة الأرضية فأنا لم أمر بشكل عادي أو طريف فقط، بل عشت هذه الحياة الرائعة هنا، وشاركت في الأحاديث عن العصافير والنساء عندما كان شاربي يبدأان بالبزوغ، وأغمضت عيني عندما كان عدد من عجائز حارتنا الأغبياء يتجادلون حول التسلح النووي، ونشر الصواريخ، وخطر الحرب النيترونية – آه كم تقتلني مشكلة الغباء في حارتنا الصغيرة – وبثقة واسعة بالنفس أخبركم أن هناك كثيرين أحبوني، وكثيرين صادقوني، وكثيرين كرهوني، فقط لأنني أتكلم بهذه الطريقة الواضحة، وأكتب بنفس الوضوح، والأهم أنني أعيش بهذا العري الصارخ.

يا أصدقائي.. أنا لم أمر من هنا فقط، لقد صادقت آلافاً من البشر مات منهم كثيرون، وسيموتون جميعاً – انظروا جيداً إلى هذه الفظاعة – وأيضاً أحببت نساء كثيرات بدءاً بابنة جارتنا الصغيرة – أذكر الآن أن اسمها كان لينا وكانت تسكن الطابق الأول في شارع لا أعرف تماماً إذا كان ما يزال قائماً – ولا تنتهي قائمة أسماء النساء – المدن اللواتي عشقتهن ب << ناتاشا بوردكو >> التي قدمت لي ورداً ومظلة سوداء واقية من المطر، وسمحت لي بتقبيلها للمرة الأولى في موسكو. فأنا أعتقد أنني حي. إلى الآن، ولذلك يجب أن أحب بالقدر الذي يشعرني بأنني حي.

.. وأيضاً لقد شتمت بشراً كثيرين، وسأحاول أن أشتم كثيرين في الأيام القادمة كي يتوقفوا عن الكذب واللصوصية والخروج إلى الشوارع بملابس النوم ليوهمونا أن الساعة تقارب الواحدة بعد منتصف الليل، بينما أحدق أنا في الظل الذي ترسمه الشمس لجسدي على أرض الشارع.

وأيضاً.. أنا كشخص بسيط لا أفتعل القروية كي أبدو بسيطاً، وإنما أحاول أن أكون واقعياً أعتقد بأن نيوتن كان شخصاً شرهاً جداً يحب التفاح الأخضر غير الناضج وكذلك أرخميدس الذي هدر وقته في اللعب بالماء بدلاً من الاستحمام وأرى أن جدي الذي مات في 8 تشرين الثاني 1978 ولم يعترف أن هناك بشراً وصلوا إلى القمر المرتفع جداً عن الأرض آخر العمالقة في هذا العالم.

.. واعذروني على هذا الهذيان الطويل، أنا أيها السادة أبعثر وقتكم الثمين.

فمن شاء منكم أن يذهب للمشاركة في الثورات، والعصيانات، والانتفاضات.

فليذهب الآن، فأنا بعثرت حياتي بأصابعي العشر هذه،

هل ترونها؟ إنني أعرضها أمام أعينكم بشدة كي تشاهدوا كيف يمكن تدمير حياة كاملة بواسطة عشر أصابع

مسالمة فقط.

.. ومع ذلك فأنا أعتبر أننا جيل من أنصاف العمالقة سنورث أحفادنا مقداراً هائلاً من التركات والخراب

والأوبئة والأسلحة والألوان القاتمة..

وربما لن نترك لهم أي إرث سوى أسماء العوائل وعناويننا الكثيرة في المدن والنساء والأصدقاء، التي عشنا فيها هنا في القرن العشرين فليأت حفيد طائش لينظر باستهزاء إلى إنجازاتنا الصغيرة ويقول: << مروا من هنا >>.

مر من هنا

المرأة الملقاة على السرير
داخل غلاف كئيب أسود
جسدها أوراق ثلجية
ناصعة
بثلاثة وعشرين عاماً
أحاول أن أقرأ في الصفحات
ما كتبه الرجال الذين مروا من هنا

بعضهم بخطوط دقيقة وغامضة
وآخرون بكلمات ضخمة
هنا فسحة بيضاء
سأملأها بحديثي المبعثر
وقصائدي الفرحة
وارسم اسمي بحرفيه الأوليين
واضحاً، وبسيطاً، وخجلاً
يا امرأة ستعرف ماذا سأكتب بعد قليل
هل تتمنين موتي الآن؟!

سماء ملبدة

بعضهم يصطاد النجوم الجميلة
وينشئ سماء ضيقة ومكفهرة
على كتفيه
ويذهب إلى المدن والثورات
ليقتل النسور ويرمي بها في سمائه
لذلك لم نعد نبصر السماء الكاملة
المرصعة بالنجوم والطيور

ربما
سنشاهد
جثثاً
في السماوات
الملبدة
على الأكتاف

اغتصاب

هل تملك الأشجار بصمات مختلفة
كي تذهب إلى مخافر الشرطة

للحصول على بطاقات شخصية
بأسماء مفردة لكل منها
وتكف عن ارتداء القمصان الخضراء
والسراويل الخشبية
وتخبرهم عن رجل وحيد

يحمل كتاباً
ويدخن غليوناً في ظلها
ويحلم:
باغتصاب
امرأة
حيدة
تمر
عابرة

حريق

هل يخفي الشاعر اليائس
جداول قريته
وصخورها، وسماءها
في فنه

حتى يتحدث عنها بسهولة!
لماذا لا تكون للألسنة مساحة البلاد
كي تقن الحديث عن الوطن؟

ولماذا لا نحيك نحن البشر
ذوي الألسنة الطويلة والمحاصرة بالخطر
كأشباه الجزر الضامرة
ألسنتنا جميعا
بخيوط الأنهار الملونة
ونصرخ:
- حريق

اكتشاف

عندما وطئ كريستوف كولومبس
أرض القارة العذراء
واحتضن جسدها البكر
وطبع القبلة الأولى على جبينها الثلجي
أشعل غليونه بنشوة
وكتب اسمه على الأرض الهائلة
لماذا أتعثر أنا

في إطلاق اسمي على المرأة الجديدة

التي اكتشفتها حالاً
وإحاطة جسدها بقبضتي
وتقليم أظافري على هيئة
أقمار غير مكتملة
ونثرها في ليل شعرها المعتم
لتضئ الغابات، والجبال، والأنهار
المخفية في جسدها

تساؤلات

لماذا لا تبدو كلمة سماء مثقلة بالأقمار
ولماذا لا تكون لكلمة شجرة
لونها الأخضر
ولكلمة نار ما يجعل الأصابع تحترق
ولكلمة تفاح
: صوت الأسنان التي تقضم التفاحة
ولكلمة لا كل هذه القبضات المشدودة
والدماء، والمقابر، والقتلى
ولماذا أطلقوا على ذلك البحر الهائج

اسم المحيط الهادئ
وأبي لماذا منحني هذا الاسم البليد
«حكم البابا»
ولم يسمني «بركان»؟
ولماذا لا نصنع القصائد
من التفاح
والنجوم
والقرنفل
والشلالات

أحقاد صغيرة

إنني أحقد على العالم!
أحقد على نيرون:
إنه اكتفى بإحراق روما
ولم يشعل عالمه
أحقد على استراليا:
لماذا ابتعدت إلى هذه المسافة القصية؟
وما اسم ذلك البحار المجنون،
الذي قادها طويلاً

بمجذافين من الخشب المتآكل

أحقد على «ناتاشا»:

إنها لم تحمل لي ورداً اليوم

ولم تقبلني في فمي

أحقد على يوم الثلاثاء 24 أيار 1983:

أنني لا أملك مالاً

وأبحث عن صديق

يقدم لي الطعام

كيما أكف عن الشتائم

ومع ذلك أنا لست إنساناً سيئاً

إنني لا أحقد على الطفل:

يقطف زهرة وأعشاباً

لا أحقد على العصفور

يغني كي يوقف موسيقى «شتراوس»

الساعة الآن التاسعة والنصف

أحقد على أحد ما في العالم

لا يقول لي:

- مساء الخير

كم هي عيونك جميلة

أيها الولد الشرير!

آسيا

مرحباً يا آسيا
أنا تلميذ غبي
لا أعرف عدد سكانك
وكم تبلغ مساحتك
واجرؤ أن أخبر
مدرس الجغرافيا المتشائم
أنك تشبهين ورقة منتزعة
من دفتري بغير انتباه
أتساءل كثيراً
لماذا تملكين هذا الشكل الأخطبوطي
ولماذا تفرشين يديك
إلى هذا المدى البعيد
أيتها الأخت الكبيرة
كي تمسكي اخوتك الصغار
وتداعبي رؤوسهم الضامرة؟
ولماذا أدار «فرنديناند دو ليسبس»
أن يضربك على يدك الرائعة
التي كانت تمشط شعر
الشقيقة الصغيرة السمراء
أفريقيا؟

سأهرب من المدرسة
وأركض إلى أحضانك
أشرب شاياً هندياً
أجلس على جبالك الشاهقة
وأقبلك في صدرك الواسع

وسأعود في اليوم التالي
لأخبر الجميع عنك
أنا سعيد ومنشرح جدّاً
أنني أنام مطمئناً
في أحضان آسيا الضخمة
التي تقبل جبيني بصمت
عندما أغفو في الأمسيات الباردة
لأستيقظ في الصباح وأشاهد الثلج يهطل على جبيني

مائدة كئيبة

من يستطيع أن يكسر لي المرآة
التي أرى فيها وجهي الجميل
عندما أستيقظ بعد كل نوم

إنها أصبحت كطفل كاذب

وقح، وغير لبق تماماً

عندما وبهذه البساطة

أحدق فيها

فأرى أحداً ما

شعث

رثاً

يحدق في صورته ببلاهة

كأنما ينتظر رجلاً

أو شخصاً ما

أو شيئاً

يفتح صنبور المياه وينزل

أو يخرج من علبة معجون الأسنان

ويصرخ أنه حان الوقت

لكي أصعد إلى الله

وأقول له بأدب:

- صباح الخير يا أبتي

أرجو أن أكون قد حضرت

ليس متأخراً

وليس مبكراً

بل في الموعد تماماً

هل المائدة معدّة الآن؟!

سنبني منزلاً جديداً في الغد

يا امرأة
اقتربي قليلاً
لأريك هذه المساحة الشاسعة
حيث يمكننا هنا
بناء منزل قرميدي بطابقين
ونوافذ خشبية واسعة
حوله سنزرع القليل من اللوبياء
والباذنجان الأسود، والمشمش

وكثيراً من السنابل الشقراء
وعلى حافة النافذة العلوية
لن ننسى أصيصي البنفسج الهادئ
وهنالك عند الباب المتين
يجب أن نشبك الياسمينة جيداً
إن راحتي اليمنى تكفي لنا
لا تنسي يا امرأة
سنسمي أصابعي
بأسماء المحيطات الخمسة
عذراً يا امرأة السلاميات
أنا لا أستطيع أن أبني لك منزلاً آخر

على قارة راحتي اليسرى

لأنني سأقدمها لمدينتي البعيدة

...

...

وأسمي أصابعي المتبقية في راحتي اليسرى

بأسماء القارات الخمس

ولن أجيب الرجل الفضولي

الذي سألني منذ قليل..

يا صديق

ما الذي أودعته في راحة المرأة المغادرة

عندما صافحتها؟

سيرغي يسينين

إلى الطاهر عرجون

التقيته هذا الصباح

في زقاق ضيق في موسكو

عند حانة لبيع البيرة المرّة

كان ثملاً وجميلاً

يرتدي ملابسه المتسخة

يحاول أن يكتب آخر قصائده الحارة

إلى صديق
وفي منتصف فمه تبرز سيجارة
ذات تبغ نفاذ
خمدت نارها
فاضطر لإشعالها من سيجارة مدمن آخر
بجانب مشرب البيرة القذر
ومشى مستقيماً تماماً
رغم أنه ثمل ومنطفئ
وكان يحدثني طويلاً
هذا الشاعر الفتي
سيرغي يسينين
فلا أسمع شيئاً

ولكنه في النهاية صرخ
لماذا لا تدعو صديقك القروي
إلى كأس من البيرة الرائعة
أيها العربي القادم من الجنوب؟
.. وكان ثلج أبيض، ولامع
يهطل من السماء بشدة.

هجرة

طويلاً حدثتني صبية جميلة
- أنا لا أذكر اسمها الآن –
ربما كان اسمها آنا كارنينا
أو ناتاشا بوردكو
في محطة كييف لاستقبال القطارات
والأمهات القرويات
وشحن العربات الفارغة
بأشخاص غدوا وحيدين تماماً
عن مدينة نصفها من الزنوج
وعن سماء أوكرانيا الواسعة
والخالية من النجوم
وكي لا أغرق في النوم
قرأت لها أشعار مرتبكة
لرسول حمزاتوف
وبوشكين، وآخرين
ثم ناولتها قطعة نقود
صغيرة وصدئة
لقد ألقينا بهذه النقود إلى النهر

لنعود مرة أخرى إلى محطة كييف

كمسافرين هبطوا حديثاً من القطارات
في أيديهم حقائب، ومعاطف، وأطفال ولدوا مؤخراً
وعندما ارتطمت النقود المعدنية بالماء
كان قطار يمشي إلى جهة بعيدة
في الاتجاه المضاد لسماء أوكرانيا الواسعة
والخالية من النجوم

زيارة

بسهولة يمكن الحصول على كل شيء
فقط أذهب سريعاً إلى السرير
تمدد وأشعل سيجارة
البيت ليس واسعاً – كما تظن –
يمكنك أن تهدم الجدار الشرقي
وتضيف جزءاً من أرض الحديقة
ولكن حاذر أن يتهدم السياج

تستطيع أن تثبت مسامير قوية في الجدران
تصلح لإسناد هذه اللوحات الثمينة
لرينوار، وفان غوغ، ومحمد علي جمعة
وإياك أن تنسى

اختيار عدد كبير من الكتب الملونة
ضع على المنضدة زجاجة النبيذ الأحمر
وكأسين نظيفين
واحد: لك
والآخر: لها.
اجلس قرب النافذة
وانتظر أن تأتي
حدق طويلاً عبر الزجاج
حتى لا تشعر بالملل
وإذا رغبت في النوم
لا تدع الظلام يعم البيت
ربما أنا أيضاً
سأمدد جسدي على الفراش
وأحاول – كما فعلت أنت تماماً –
أن أقوم بنزهة في الغابة المجاورة
سأكسر غصناً يابساً
لأعبث بالحشائش الخضراء

وعندما يهبط الظلام
سأرى نافذتك المضاءة
فآتي إليك وأقرع الباب برأس الغصن
لماذا لا تفتح الباب لي

هل استغرقت في النوم!

وداعاً ناتاشا بوردكو

وداعاً.. وداعاً ناتاشا بوردكو
حان الوقت للمغادرة
لقد نظفت الثياب المتبقية بقوة
وبهدوء رصفتها في الحقيبة
أنا لا أدري لماذا ترغبين
أن أحمل معي جميع الكتب والملابس
هناك لا أحتاج هذا القدر المضجر من المعاطف
ولن يكون لدي الوقت الكافي للقراءة

لقد أحطت نفسي بالمعطف جيداً
وها للمرة الأخيرة:
ألامس القبعة، وأطمئن على وجود القفازات
المطر هادئ، والليل ليس غامقاً
لن أنسى المظلة السوداء
التي قدمتها لي
إنني أعدك أن لا أنساها أبداً
سأقبلك بهدوء الآن

كيلا أفسد سباتك الجميل
وداعاً.. وداعاً ناتاشا بوردكو
أتمنى لك الشمس
علي أن أخرج قبل أن تستيقظي
وأنت يجب ألا تستيقظي الآن
انتظري لحظة واحدة
سأطمئن على المظلة، وأوصد الباب.

باتستا

لم يكن كوبيا
وهو لا يتحدث بالإسبانية الآن
- ربما كان يتحدث بجميع اللغات -
كان طويلاً ومنحنياً
كخط الاستواء
جبهته واسعة ومغضنة
كمنضدة طعام قديمة

وفمه الواسع يصلح
قاعة لمجلس النواب المنتخب حديثاً
وأصابعه طويلة ودقيقة

كأصابع امرأة رائعة
كان يتحدث
عن السعادة، والحرية، والربيع
هناك بشر كثيرون يصفقون
في ساحة المدينة
في الأماكن الأخرى..
المنازل والسجون
كانوا صامتين كفاقدي السمع
وعاد يتحدث من جديد
عن السعادة والحرية، والربيع
من جديد صفقوا بشدة
في ساحة المدينة
.. وفجأة
-رغم أنه لم يكن كوبياً
ولا يتحدث بالإسبانية الآن-
أحدهم صرخ:
«باتيستا»

قبضة واحدة

براحتي هذه..

الأصابع الخمس التي ضغطت بها
على قبضة الجد الطيب
في نزهات ممتعة
لأصل القرن التاسع عشر
بالقرن العشرين
راحة يدي التي بسطتها كثيراً
في الطفولة -بسرور بالغ-

لأتلقى نقود المصروف اليومي
ورغماً عني فتحتها لأتلقى
آلام عصا المعلم الفظ
وحملت بها حقيبة الكتب المدرسية
اثني عشر عاماً
وطرقت بها الأبواب المتنوعة
الخشبية، والحديدية
المغلقة دوماً

وفي الشتاءات القارصة
خبأتها في جيوبي
أو داخل قفازان جلدية
خشية من الصقيع
براحتي هذه..

قدمت قرنفلاً وياسميناً
إلى ناتاشا بوردكو، وكثيرات..
بها ذاتها ربت على أكتاف أصدقاء كثرين
وصفعت أصدقاء آخرين
ولعبت بخصلات نساء شقراوات
وفتحت صفحات آلاف الكتب
ومطمئناً صافحت بها ملايين البشر
ورفعتها في وجه السماء مراراً
كي أخبرها كم أنا غاضب
رغم ذلك فهي ما زالت صالحة للاستعمال
حتى الآن
براحتي البسيطة هذه
التي يستطيع أي محتال ماهر
أن ينظر فيها فيشاهد حياتي
أكتب الواجبات المدرسية
وبطاقات التهنئة
والقصائد.

أي تاريخ واسع
تملكه هذه القبضة
كي تفعل كل هذا
ولكني أعتقد

أن هناك خطأً ما قد ارتكب
لماذا إذا لا تكون الأصابع الخمس متساوية؟

كآبة

منذ وقت طويل
صامتاً تنظر إلى الشاطئ
من جهة البحر
في لوحة مسندة إلى الجدار
ولكن اليوم فقط!!
تساءلت بإلحاح
لماذا لا تبدو الأرض مستوية
ولم لا ينسكب ماء البحر في الغرفة

ثم سريعاً عدوت
نحو الأوراق البيضاء
الطافية فوق منضدة الخشب العتيقة
وفتشت عن محار
وأسماك ملونة
ودلافين مرحة
وقصائد

هواجس

لم تجب بأية كلمة
الرجل الذي همس لك:
«شكراً»
بعد أن أشعل سيجارته
بعود واحد من علبة الثقاب الخاصة بك
ومضى حزيناً كأنما يمشي في جنازة
كان من الأفضل لو أنك همست بكلمة خافتة أيضاً
أو أسدلت له جفنيك

وابتسمت بهدوء ليطمئن
ولربما أعطيته عيداناً قليلة
- سيبقى لديك الكثير منها -
ماذا كان سيحدث
لو أنك فعلت كل هذا؟
هل كان وجهه الشاحب سيضيء لحظة
ويفكر في العودة إليك مرة أخرى

ليقول للرجل المهذب
-هو أنت كما يظن-:
«شكراً»

أم أنك أنت أيضاً حزين وبائس
وتريد أن تحتفظ بهذه العيدان
كي تبقى لديك ثروة ما
بعد أن فقدت كل شيء
وها.. أنت ذاهب إلى المقبرة الآن

هل فكرت كيف سيتقاسمك الورثة
أنت للقبر
والعيدان للسجائر
والحزن للأصدقاء
و «شكراً» ستبقى لك

؟

ويا حكم البابا
ألا يكفيك أيها القديس الشره
أم واسعة كالنبيذ
واسم جميل كالخزف
وهذه المرأة الفاتنة
التي تدعى:
ناتاشا بوردكو

وتلك الحديقة الكبيرة
التي مزقها بيديه الراجفتين
الأشعث الثمل الذي يسمونه
في مدارس الأطفال الابتدائية
المحيط الهادئ

أحلام

هل توجد فروق شاسعة
بين الرجل ذي القبضة المغلقة
التي يضرب بها جدران الأبنية
في شوارع المدينة ليحطمها
وبينك أنت الذي تريد
أن تخرب العالم
بقبضات رأسك اللامرئية

سؤال

لماذا لا يتشاجر سكان الكرة الأرضية
على طريقة الأطفال

ويشكلون أصابعهم
على هيئة مسدسات وهمية
ويصرخون بأصوات مرعبة
- بو.. بو..

هواء

الهواء الذي مر سريعاً
من خلال النافذة المفتوحة
وقلب صفحات الكتاب
الممدد بين راحتي دون مبالاة
كيف استطاع القراءة بهذه السرعة؟
وعاد مرة أخرى
ليفتح صفحات دفتر القصائد
ترى هل كتب قصيدة الصقيع القارصة؟

إعدام

كان هتلر يسير في شوارع برلين 1940
بشاربين كالفراشة
وبزة عسكرية مليئة بالأوسمة

ويده ممددة في الهواء
كطفل يقوم بلعبة مضحكة
وعلى حافة الرصيف
طفلة صغيرة
تشير بإصبعها ذي الظفر المقلم جيداً

إلى الأوسمة
وتعد باهتمام:
واحد، اثنان، ثلاثة
فتخطئ وتبدأ من جديد
واحد، اثنان، ثلاثة
فيغضب هتلر ويأمر بإعدام الطفلة
التي تخطئ في العد
وجاء قائد فرقة الإعدام
يعد بثقة
واحد، اثنان، ثلاثة
ويخطئ فيبدأ من جديد
وأخيراً أطلقوا الرصاص ومضوا
لماذا أعدموا الطفلة
التي أخطأت في العد
ولم يعدموا قائد فصيل الإعدام؟

للعمة الطيبة: شكراً

أيتها العمة الطيبة
شكراً
لقد أعددت كل شيء
الغرفة
وأزحت الستائر المسدلة
طعام الغداء اللذيذ
الحلوى
الغبطة والحنان أيضاً

ولكنك لا تعرفين
أن الرجل القديم العائد
يرى كل شيء ضيقاً
السرير والغرفة
المدينة والقصائد
ولكن لا بأس
إنه سيكتفي بالحنان
وبعض الغبطة
وهذا القلب الواسع

لماذا؟

لماذا لا تغرق إبرة الحياكة المثقوبة
مع موج القميص الأزرق
عندما ترفوا أمي ثغرة
في الجهة اليسرى من الصدر؟

بيانو

أنا لست بيانو لماعاً
ولذلك أرجوك يا سيدي
أن لا تضغط بإصبعك على عيوني
فهذه الألوان البيضاء والعسلية في حدقتي
ليست مفاتيح للعزف
ولا تطفئ السجائر بجسدي
فأنت لا تتقن عزف السيمفونية الخامسة
لبيتهوفن
وإياك أن تجلدني بهذا السوط المؤلم
وإلا سأبكي بعد قليل

جرائم

تناول بندقية،

قلماً

وورقة بيضاء واسعة

ارسم شارعاً

وسيأتي بشر كثيرون للمرور

وحافلات مكتظة بالناس

وفي زاوية الورقة العليا

راسم نافذة مغطاة بالستائر

ثم أزح الستارة قليلاً واختبئ خلفها

وانظر إلى الشارع

خلال منظار البندقية

ثم..

«تك»

آه.. حذار أن ترسموا مسلحين في قصائدكم

لقد خرب هذا القناص الصغير رأسي.

خيانات

لماذا لا يرسم الفنانون
خواتم ذهبية
في أصابع النساء العاريات
كي لا نلعق شفاهنا بشراهة
حين ننظر إليهن
ونشعر بالحب
ونفكر بالخيانات الزوجية؟

احتلال

أنا حكم البابا
جمهورية الخريف المستقلة حديثاً
أتلقى مساعدات مالية
من الوالد الطاعن في الغنى
والأصدقاء المنهمكين في الفقر
لدي عدد كبير من السكان
وأملك محاصيل ثاقبة من النظرات
ومصنوعات أنيقة من الكلمات والقبل
تحدني من اليمين ناتاشا بوردكو
ومن اليسار طفل لم يولد بعد
وعندي خصومات هائلة

ولكنني أنظر بحب إلى الجمهوريات الأخرى
التي تنام وتأكل، وتعشق
وأرغب بالصداقة معها
ولدي أطماع واسعة
في الاستيلاء على ناتاشا بوردكو
ومقاسمتها سريري

حب

في مساء ثلجي
جاءت ناتاشا ضاحكة، ومنهكة
وناتاشا تضحك دوماً
حتى عندما أخبرها
عن رغبتي القوية بصفعها
وتفرح لمشاهدة أفلام الكرتون
أكثر من الحديث عن الحب
جلست بجواري وقالت:
-إنني أحبك يا عجوزي
أما أنا فدهشت
وقبلتها طويلاً
ثم ذهبت واشتريت كرة ضخمة

وضعتها على الأرض

وقذفتها بشدة

كي أسجل هدفي الأول في مرمى العالم

ولكن ناتاشا ضحكت

وأخبرتني أنها ترغب بنزهة هادئة

في هذه القصيدة

دون أن يشير إليها الأصدقاء بأصابعهم

ويصرخوا:

- هذه ناتاشا بوردكو.

عناق

إن لون السماء والعشب واحد

في كل مكان هنا

وفي جميع القارات

يقول العشاق لحبيباتهن

إننا نحبكن أيتها العذراوات

ويقدمون أزهاراً

وعندما يشعرون بالغيرة

يخرجون ألسنتهم

ويلوحون بها

ويذهبون إلى السجن مرغمين

وينتظرون الرسائل

ويكتبون القصائد

عن الحبيبات والقتلى والأزهار

هل ترون يا أصدقائي

في البلاد البعيدة

نحن عشرة ملايين طفل في سورية

نخبركم

أننا سكان الكرة الأرضية

ولدنا ملتصقين كتوائم

ونحتاج فقط إلى مزيد

من حليب الغيوم البيضاء

اعتراف

أنا البورجوازي الصغير

حكم البابا

رجل بعشرة أصابع في اليدين

وعدد لا بأس به منها

في القدمين

أجري مسابقات في الركض
مع الصراصير في غرفتي
وأخسر باستمرار
أشرب الكحول القوي كجرح
وأنفث الدخان كمدفأة
أجلس أحياناً وأفكر:
إذا كانوا ينشئون وزارات للدفاع
لماذا لا يبنون وزارات للهجوم؟
ثم أضحك بصخب
أريد أن أشج ر أس أمريكا
وأن أسرق Hamawa bopogko
من بيتها الدافئ
إلى الجبال كي أنطق بالحكمة

وأقول وداعاً:
لشجرة العائلة
للكتب، والأغاني، والستائر المسدلة
للشمس والثلوج ولأشياء أخرى تضيء
لركن الدين شاكر
ومحمد عبد الرحمن
وأحمد تيناوي

لدي أغان، وداعات، وعناقات

لكل شيء

أخشى أن أسر بها

فيتهموني بسرقة العالم

أنا البورجوازي الصغير. لا أكثر

قبلة

صباح الخير ناتاشا بوردكو

أنا المواطن الثمل

حكم البابا

ولدت عام 1961

ومت في عام ما

وعدت إلى الحياة عندما رأيتك

أعيش الآن في نهايات عام 1983

في دمشق

وأنت تقعين الآن في العام 1984

في موسكو

وهناك قارات ومحيطات

وجبال وأنهار كثيرة بيننا

ولكنني أعتقد أنني أراك الآن
وأطبع هذه القصيدة على جبينك

أكبر من جحيم
أصغر من تنور

1985

موسكو، نيقوسيا، دمشق 1985

في ذلك الإقليم

الممتد من قدميك إلى حاجبك

سأمضي حياتي، ماشياً، ماشياً

*

آه للحب الكبيروالحبيبة الصغيرة

بابلوا نيرودا

آه.. ما أبعد قبلتنا الأولى!

ييتس

هذه الرغبة المجنونة في العواء

لن تكف إلا مع انطفاء صوتي

*

لا رغبة لي سوى أن أحبك

بول ايلوار

إلى ناديا بابوفا

إن سماء لا تحنو عليك
لا تسرك ليست سمائي
إن جبالاً لا تنحني لك
لا تقبل راحتك
لا ترفع لك قبعاتها
لست أعرفها
إن أرضاً لا تفرش لك
بساطاً من العشب
وتحملك بحب
ليست أرضي
إن بحاراً لا تداعبك
لا تغرق حزنك
أتبرأ منها

أحمل مطرقة أفريقيا
وأحني رأس أسبانيا
لأشم بركاناً تطهوه المكسيك
أعطي لحنجرة البحر الأسود
ألحاناً ليغني
أمسك قبرص كهراوة بدائية
أو كفأس متآكلة

أرقص معها الفالس

من سوريا إلى محيطات العواصف

أدخل في ثوب أوربا

وأنظر إلى فخذ إيطاليا الأبيض

ألوي ذراع اسكندنافيا

وأعصر جورب اليابان

لأجففه أضع قبعة أستراليا على رأسي

وأتمنطق بخنجر الهند

أرتدي قميص آسيا الممزق

ألم ملابس الأرض:

رمتها ذات ألم

أو لذة

متدثرة بسواعد المحيطات

أقودها بكرنفال لأنجب روسيا

أغمض عيني روسيا بالضباب

وأهديها موسكو:

مدينة بيضاء أغني لها

سيمفونية ناديا:

صدر صغير أحوك له الدسائس

فيسقط في شراك أصابعي

وقلب واسع
لا أزال أهوي فيه
عيناها وباء
وابتسامتها زلزلة
تشحذ جنونها بالنبيذ
وضعفها بالبكاء
وتوسع ممالكها

تسوط البحر
لتوقظ الطوفان
تغمد في العواء
نصل الأغنية
وتصفع الجبال
لتثير شهية البركان
روحها جحيم
ولسانها زوبعة
يا ناديا
ابحث عن كلمة أقولها لك
كلمة واحدة فقط
لا توجد في العربية
ربما بالروسية؟
ولكن!

ولكن جميع مفردات العالم لا تكفيك
لا الفرنسية
لا الإسبانية
ولا الألمانية
لا لغة قبيلة «الآنكا»
ولا لغات الكواكب الأخرى

أريدها كلمة وحيدة
فيها: حبيبتي، وأحبك، وشكراً
ولا تكذبي، وناديا، وانتظريني،
وأضحكي، وعيناك، وسماء.
و... لا أعرف

كلمة واحدة
لا أتواضع فيها
أقوالها وأكتفي
دونما حدة لنظرة العينين
والقبلة المريعة
والتقاط راحتك المذهلة
وملامسة شعرك الهائل
وركلك بأطراف حلمي
أبحث عن كلمة

كلمة وحيدة فقط
قادرة ومستطيعة
كالضربة القاضية
في مباريات الملاكمة
ملساء ومثيرة
كالرداء الأحمر
في عروض مصارعة الثيران
جميلة، وفاتنة
ك.. ك..ك.. أنت

كلمة: مضيئة، واسعة، معتمة،
خانقة، عارية، وفاضحة، و..
كلمة تأخذ كل ما مضى
وتعطيني ما لا أدركه
كلمة لا يكفيني عمري لكي أنطقها
ولا يمكنني قولها لك
بالأبيض والأسود فقط
كلمة بجميع الألوان
كلمة: هادئة وصاخبة، حزينة
وفرحة، غامضة وواضحة، بشعة
وجملية، شريرة، وطيبة،
جسد وروح

كلمة أنت وعصافير وشمس
وقمر وموسيقى وثلج
ومطر وخريف وشتاء وصيف وربيعيان

كلمة تغمض عيني وتفتح روحي
كلمة فيها موسكو ودمشق
باريس ونيقوسيا، ساحل الذهب
ورأس الرجاء الصالح، جزر القمر
والمحيط المتجمد الشمالي، جزيرة سانت
هيلانة، والبحر الأبيض المتوسط.

كلمة أخاف أن تفلت مني
لا أجرؤ على النظر والإنصات إليها
لا أجرؤ على المشاركة
لا أجرؤ على الهرب
كلمة مغناطيس تجذب برادة روحي
كلمة كعيني تشي غيفارا
وأوهام دون كيشوت
بطيبة المسيح
ودهاء يهوذا الأسخريوطي

كلمة لها شعر أحمر وعيون عسلية

تدخن الغليون وتشرب النبيذ
كلمة مستحيلة.. مستحيلة.. مستحيلة.
كلمة أقولها لعينيك
ولشفتيك، ولصدك، ولِ..

يا ناديا
أنها كلمة وحيدة
حاولي أن تعثري عليها
ربما نطت من فمي إلى شفتيك بغتة
رأيتها مرة تطل قرب أنفك الدقيقة
أمسكت بها
ولكنها انفرطت بين أصابعي
آه كم من الصعب القبض على دمعة؟!

الكلمة التي لا تعرفها عصور
ما قبل الميلاد
ولا ما بعده
كلمة:
أكبر من جحيم
أصغر من تنور

كل أشعة الدنيا

من الشمس وحتى لهب عود الكبريت
لا تملك بريق عينيك
وأكثر الأشياء رقة في العالم
لا تعادل قبلتك العابرة
وما من مرة شعرت فيها بزلزال
إلا عندما أمسكت راحتي

فكيف أقول كل هذا
دفعة واحدة
وبكلمة صغيرة فقط
يا الله، يا الله
لماذا انتزعت ضلعاً من صدري
وطوحت به بعيداً
وأرغمتني على الركض
أربعة وعشرين عاماً
لأعثر عليه بين مليارى امرأة
أخبرني أية كلمة سحرية
أتفوه بها
لأعيده إلى مكانه

يا ناديا
سألف الكرة الأرضية إلى الوراء

آلاف الأعوام
وأحيي جميع الموتى
لكي يروك
سيفخر بشر القرن العشرين
بأنهم عرفوك
وعاشوا معك

سيحفر سكان القرون القادمة الأرض
ويزيلون الأتربة
ليعثروا عليك
يا راية عالمي
تذكريني يوماً واحداً في الأسبوع
السبت أو الاثنين
أو أي يوم ترغبين

أما أنا فأحبك في كل الأيام
منذ أول عينين نظرتا
إلى آخر إغماضة لجفنين
تذكريني في موسكو فقط
أو أي مدينة أخرى
أما أنا فأحبك
في كل مكان

أعرف أن يدي كانتا قاحلتين
لو لم تلمسا يديك
ونظراتي صماء
لو لم ترك
وأذني مخربتين
لو لم تسمعا صوتك
وصوتي جافاً
لو لم يحدثك

أحب الخبز لأنه يمر بين شفتيك
والماء لأنه يسيل عليهما
وأحسد القلم
لأنه يستطيع أن يكتب كلمة أحبك
دون أن يرتجف ففمي يضيق
ويختبئ فزعاً في وجهي
عندما يرغب بنطق هذه الكلمة الصغيرة
الفادحة
الكلمة التي ولدت لأقولها لك
كلمة كالقبلة.. كالنظرة كتلويحة اليد
لا يمكن نطقها

كلمة تحول الشلالات إلى وقود للنيران

وارتجافات غطاء السرير
إلى زلازل
كلمة كالانفجار
تحطم أسناني ولساني
وتتركني بلا فم

كلمة تلبسك كالثوب
سأهدمك
سأبنيك
سأهاجمك جسداً روحاً
براً وبحراً وجواً
صحراءً تركض إلى نخلة
حجراً لا بد سيصيبك يوماً ما
نبيذاً سيغافلك فجأة

أفتح المدن
لتحتليها
أكشف القارات
لتطلقي عليها اسمك

يا ناديا
أنت أجمل من اسمك

فكيف أناديك

ويا ناديا
لقد أحكمت خطتي للحب
سأقول لشفتيك
ما لم أخبر به أحداً
وأقول لعينيك حباً
ولمودتك قبلة
ولشمسك صباحاً

وأقول لروحك عشقاً
أكبر من جحيم
أصغر من تنور

عم صباحا أيها الشقي

1985

إلى جزيرة الصخب..

ريم حنا

شكراً على وجودك الجميل في هذا العالم

أنا

أنا النهر الصغير
حكم البابا
الصديق الحميم لجبال الألب
والعدو اللدود للحرب العالمية الثانية
ولدت خجولاً
وغدوت وقحاً
غافلت أيدي الجبال المتشابكة
وقذفت بنفسي إلى صدور الوديان
دون أن أكسر قدمي الدقيقة
رماني البشر بالحصى
والعاشقات بالنقود والقرنفل
وغسل الأطفال صنادلهم في مائي
أسير مدوياً
نحو بحيرة الشمال الجميلة
ذات الأظافر المقلمة
والملابس المدرسية النظيفة
والضحكة الرائعة

لا تغلقوا في وجهي
كتب الجغرافيا
ومصورات الأرض

عندما أطل من بعيد

بعيني الماكرة

وضحكتي الخبيثة

قادماً لأرشقكم بكرات الماء الفرحة.

نزهة

إلى وليد أسعيد

رجل ما

خرج إلى الشارع

في كانون الثاني

بمعطف مزرر

ومظلة مفتوحة

ليهدئ المطر

ويربت على كتفه

وعاد الآن

بمعطف مفتوح

ومظلة مغلقة

لقد اسكت المطر

ولكنه لم يأت بالفصول

صداقة

بمعطفي القطني
كنت أحمي نبتة فتية
من الصقيع
وبراحتي الصغيرتين
كنت أظللها
من الشمس المحرقة
وحين ابتعدت احتفظت بأريجها
وكنت أحميها بلهفتي
وأظللتها بقلقي.

قرصان

ذات صباح
اشترى الرجل الطيب
سفينة وأصباغاً
وقطعة قماش سوداء
ومسدساً عتيقاً
واستأجر رجالاً كثيرين
يحبون الكسل والنساء

والأسلحة النارية

وسرق مدفعاً
ثم فقأ عينه اليسرى
وأحاطها بمنديل رخيص
ليصبح قرصاناً شريراً
وسافر في البحر
كي ينهب السفن العابرة
ويقتل بحارتها
ولم يصبح الرجل الطيب
قرصاناً شريراً
لأنه شرب من ماء البحر
كي يهدئ آلام أسنانه
وعاد ليعمل معلماً للرسم
في مدرسة القرية
محتفظاً بعينه العوراء المشوهة
وعلم القراصنة الأسود.

حزن

إلى هالة النابلسي

أيتها المرأة الغائمة

لماذا لا تهطل عيناك؟

إنسان

لا يؤسفني أن هذا الاسم الجميل
حكم البابا)
يطويه ثمل
بأصابع فمه الغليظة
ويشده شرطي بقسوة
فأخشى أن يهشمه
وتسنده امرأة حانية
برفق كرضيع
ويجلسون في الدوائر الحكومية
على كراسي القش العتيقة
ويلوثه الأصدقاء ومحررو الصحف اليومية
برذاذ الشتائم اللامعة
وتصنعه حروف المطابع الرصاصية
ضئيلاً هكذا
في حجم السلامية الأخيرة للإصبع الصغير
وأرسمه بخطوط جميلة
على صفحات دفاتر الإملاء والتاريخ
ورسائل الحب

ونهايات القصائد المليئة بالشموس
والعناق، وأزهار الياسمين الصغيرة

وأقرؤه لحبيبتي
ضخماً كالصدى
وفي نهاية القرن العشرين
سيكتبه كثيرون
بقرب كلمة غير لائقة
في دفتر قديم واسع
(الفقيد حكم البابا)
إن ذلك يحزنني كثيراً!!

صورة

حدقوا جيداً
ولا تبحثوا عن خطأ ما
هنا لا توجد أخطاء
انظروا إليه
إنه مهذب جداً
وهادئ

بقميصه المزرر
دون ربطة عنق

وهي إلى جانبه
ليس ثمة ما يسوء في هذا
أليس كذلك
وهذه راحته على كتفها
ربما أنها ليست سعيدة بذلك
ولكنها لا ترى هذا فظيعاً
انظروا إليها
إنها حبيبتي
وها.. أنا بقربها

يبدوان سعيدين
ويبتسمان
دون أن يفكر
أن ثمة رجالاً في العالم
يمكنهم أن ينهالوا عليهما بالعصي
دون أن تدري
أنه لا يملك نقوداً

فقط يبتسمان
ويفكران بالذهاب إلى الغابة المجاورة
ليصطادا الفراشات الملونة

ويلهوا طويلاً

ويفكرا بسرور

أن هناك بشراً كثيرين

فرحوا طويلاً.

يأس

الرجل المعتم

أفرغ كأساً من الشاي الحار

في راحته

ليمحو خطوط يده

التي رأت فيها المنجمة

مستقبلاً مشرفاً ينتظره.

قصيدة إلى جاك بريفير

لو كان صديقي جاك بريفير حياً

بابتسامته المرة

وقبعته الباريسية

لتأبطت ذراعه

ومشينا في شوارع المدن

بغلايينا المحشوة بالضحك
وأفواهنا المليئة بالتبغ
نصفر لحناً مرحاً
ونملأ العالم بالدعابات
نفرش مظلاتنا
حين يفاجئنا المطر الخبيث
في المنعطفات المظلمة
ضاحكين من شقاوته
ونفكر بالمظلات التي ستحمي الملوك
من ألاعيبنا الشيطانية.

صدقيني

صدقيني
لقد أخبرتك مراراً
أنني أحبك
وداعبت شعرك
ولكنني لم أحدثك
ولا لمرة واحدة
عن البركان الذي يثور في أعماقي
من أجلك

صدقيني

إنني أستطيع أن أحضر لك نهراً

وأحيط به ذارعك

وأن أرسم لك بحراً صغيراً

تحملينه معك في كراسة التاريخ

وأن أشتري لك قطعة كبيرة

من الشوكولاته اللذيذة

لتأكليها كاملة

وأن أحبك كثيراً

فأنا يمكنني أن أفعل ذلك

وأشياء مدهشة أخرى

صدقيني

أنني سأقذف بنفسي

عالياً في الهواء كجواد

وأصرخ وأصخب، وأموت

عندما تسمحين لي

بأن أقبلك

مرة أخرى

وللحظة واحدة فقط

إنني سعيد تماماً

حرقة

ماسح الأحذية الصغير
كان ينادي المارة
ليصبغ أحذيتهم بطلائه الملون
ويصمت طويلاً كل يوم
محدقاً بحرقة في صندلي
الذي لا يستطيع تنظيفه

مايكوفسكي

يخرج صباحاً
بقميصه المزرر حتى آخره
وربطة عنقه المعقودة جيداً
ويداه المليئتان بالأصابع
تهتزان كأراجيح العيد المكتظة بالأطفال
ويعود في آخر النهار
بصدره العاري
ويديه الملوثتين بالشجارات
حرية
قبل أن يغادر السجين معتقله

بحقيبته المهترئة

شكر الجميع

لضيافتهم

واعتذر كثيراً عن إقامته الطويلة

متأملاً ساعة يده

وأسرع إلى بيته

كأنه ينصرف من عمله باكراً

مبتسماً ونشيطاً

كما لو كان سيعود في اليوم التالي.

ألم

لو كان الخراب يلمس بالأصابع

لطلبت أن تضعي راحتك على قلبي

كي تشعري بخرابي الفادح

لو كان الحب يرى بالأعين

لسألتك أن تحدقي في صوتي

كي تعلمي كم أحبك

لو كان الألم يسمع بالأذنين

لرجوتك أن تنصتي جيداً

إلى الألم الذي يمزقني.

زجاج

حدقت طويلاً في شارع مزدحم
ورأيت كل شيء
العابرين
وأحجار الرصيف المتآكلة
وحتى قميص مشجر يرتديه عابر متمهل
تساءلت ما إذا كان يخبر صديقته
عن الشبه الغريب للون عينيها
بأزرار قميصه
وضحكت
ولكنك لم تلاحظي زجاج النافذة
كان يتأملك بأسى
كما لو كان يود
أن تقبليه في جبينه

إذا أمكن

في المحكمة
جلس القاضي صامتاً
خلف منضدته الضخمة

وطرق بمطرقته طويلاً

كأنه يصنع تابوتاً

وحين تكلم

قال أشياء كثيرة الأهمية

هادئة، وحاسمة

«الإعدام»

ولكن الرجل الرابط الجأش

داخل قفص المحكمة

تساءل ما إذا كان الإعدام وحده

أفضل من الإعدام حتى الموت

وأخبر القاضي أنه يفضل

الإعدام حتى الموت

إذا أمكن

حروب

كم نحتاج من رجال الإطفاء الشجعان

لإخماد نار الجندي المجهول؟

ينابيع

بروتس قتل يوليوس قيصر
وهرب
جلس بين الصخور الضخمة
كي يضلل مطارديه
وعندما أمسكته الأرض بيديها المعروقتين
ولم يفلح في الإفلات
استل خنجره
وطعن الأرض

- لم يتمن أن يفعل ذلك مرتين –
فتدفق دمها
وركض بعيداً
كي لا تعاتبه بحرارة
حتى أنت يا بروتس

ألوان

بائع الصحف الصغير
الذي كان ينظر بدهشة
إلى صور الرؤساء الملونة
ويلعق صدور زوجاتهم

أصبح رئيساً للوزراء
ولم يتزوج
وإمعاناً في الحذر
أوصى الصحف بنشر صوره
بالأبيض والأسود
فقط.

عشرة قروش

حمل العاشق عشرة قروش
باحثاً عن نهر
يلقي في مائه قطعة النقود الصغيرة
ليعود من جديد
إلى مدينة حبيبته ولما أنهكه البحث
ألقى قطعة النقود
من فئة العشرة قروش
في بالوعة
ومضى حزيناً

عصا

راعي الخراف الصغير
في البوادي
الذي سافر إلى المدينة
وعمل شرطي مرور
بقبعة بيضاء
وبزة كاكية
لا يزال يحمل عصاه الصغيرة
ويقود بها قطيع السيارات الصاخبة.

غش

جلس الله خلف منضدته الخشبية
يقرأ أوراق البشر
ويكتب أعمارهم بقلمه الأحمر
فغافله الصبي الشقي
وكتب صفراً قرب عمره
وركض فرحاً إلى أصدقائه
عندما أيقن أنه سيعيش مائة سنة
بدلاً من عشر سنين

مقاتل

رسمي أبو علي
الذي دعوته إلى السينما
لمشاهدة فيلم عن الحرب
أخبرني أنه رأى حرباً حقيقية
بقتلاها، وخرابها، وحرائقها
فسألته ما إذا كان كرسيه
قريباً من الحرب
أوفي آخر الصالة؟

حياة

في نومه
تآمر رجل وحيد على حياته
فاستيقظ باكراً
وتناول مقصاً
ومضى يقص حياته
رمى جزءاً كبيراً
مكتفياً بأربعين عاماً
قسمها إلى قطع كثيرة

ووزعها على حبيبته وأصدقائه
وصنع زورقاً صغيراً
أرسله إلى البحار البعيدة
بما تبقى من عمره

اختطاف

أنا مختطف شجرة الحور الجميلة
أطالب الصباح بأن يخرج غداً مبكراً
مرتدياً ثيابه الناصعة
كي تستيقظ الشمس
وتبدو ذهبية ودافئة
وعلى العصافير أن تغني جيداً
ولتأت رياح متمهلة
ولا بأس لو يحضر مطر مهذب
ويطرق بلطف زجاج النوافذ
وأسطح المظلات
ولتكف الأشجار عن الاتكاء
على الجدران والزجاج
وليفرش العشب بين يديه الحانيتين
ويزيل الأحجار والحصى

وليرتد الليل قميصه الأزرق النظيف
المكتظ بالنجوم
ولينظر القمر
بعينه المضيئة ضاحكاً
إلى جسد المرأة التي أحبها
وإلا سأفجر هذه الحزمة الهائلة
من القرنفل الأحمر
وأطلق عصافير كثيرة
في السماء
وأقلم أظافر الحقول الطويلة
والأشواك الجارحة

شجرة

سأملأ طرقات العالم بالمسامير
لأثقب عجلات الرياح الهوجاء
التي تريد أن تحني أغصاني
عندما يمر موكب النهر
لأقبل رداءه المائي
الملوث بأصابع الطحالب

انتظار

رجل
بالمظلة كان يتقي المطر
منتظراً فتاة قادمة
تغلق مظلتها
وتحتمي بمظلته المفروشة
غادر وحيداً
مخلفاً بركة من الأرض الجافة

تساؤلات جندي البحرية
جج
من سيدعو الطفل الذي ولد
في البحر
للخدمة العسكرية
وهل سيصبح عريفاً
في فصيل الأمواج المغامرة
وهل يوجد سبب كاف
أوغير كاف
لخوض حرب ضد الأعداء
ولكن هل ثمة أعداء
علينا محاربتهم؟

عودة

الرجل المتعب
عاش في بلدان كثيرة
وتأمل نفسه مديداً
في المرايا والصحون
وزجاج المناضد
ممتناً لشاربيه الحليقين
عاد من أسفاره الطويلة منهكاً
ورأى وجهه بوضوح لأول مرة
في مرآته القديمة
وأحس بالعالم يلكزه من الخلف
ليمر سريعاً
فيأتي الثلج ويشاهد وجهه في المرآة

موعد

استيقظ الفتى المرح متأخراً
تأمل الساعة الجدارية
ومضى مسرعاً بارتداء ملابسه
عندما علم أنه تأخر عن الحياة الرائعة

عدة ساعات

وخشي أن تغضب

وتهجره إلى الأبد

دهشة

الريفي الذي وصل من القرية

وطاف في المدينة

يرى، ويفكر، ويغتبط

بقي مستيقظاً

أياماً عديدة

لأنه نام طويلاً في قريته!

عزلة

في غرفة صغيرة

مكتظة بالكتب والصور الجدارية

والنبيذ

يستيقظ الهواء

في السابعة صباحاً

ليقوم بعمله المعتاد

ويبحث عن إنسان

يلزمه هواء نظيف

فيكشف غطاء الرجل النائم

ويوقظه ليصنع القهوة

ويغافله ليحتسي دفأها

ويصخب حين يسمع الرجل الوحيد

يتململ من القهوة الباردة

شجار

تشاجروا جميعاً

مع الرصاص الوقح

الذي ثقب حقيبة المرأة الفاتنة

وهو يعدو إلى صدر الرجل

ولكن ما من أحد

تشاجر من أجل الرجل

الذي اخترقه الرصاص

وحطم قلبه

ما من أحد

حتى الرجل ذاته

مات بصمت

انتصار

الفتى العائد من المعركة
بعينه المفقوءة
وأصابعه المفتتة
وقريته المحتلة
نظر إلى صورة حبيبته
وصرخ بسرور
«انتصرنا»

قبلات

ليقبل الألم جسد الطاغية
الذي يريد قتلي
لتقبل السعادة
هواء العالم الصغير
لتقبل العدالة
جمهوريات السجون السوداء
ليقبل الحب قلبي الصغير
الموله بالمرأة الجميلة
وليقبل الفرح
حبيبتي.

سورة ريم

1986

دمشق | نيسان 1986

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب

أبو فراس الحمداني

أغمض عيني.. و أفتح روحي

لو دعيت مرة للكتابة عن نفسي، فسأكتفي بعدة كلمات لا تتجاوز العشر:
«ولدت عام 1961، وأحبك، وسأموت يوماً ما..»
وربما سأكتشف -ذات يوم- خطأ ما في سيرة حياتي، أو يلكزني أحدهم بمرفقه مغتاظاً، معترضاً على هذه المعلومات المزيفة، وعندما سأعيد النظر بما كتبته، وأهز رأسي موافقاً: نعم، ثمة خطأ. فأنا لا أدري حقاً ما إذا كنت قد ولدت في عام 1961 تحديداً، ومن الممكن أن أكون قد ولدت قبل هذا التاريخ أو ربما بعده، وإن كانوا قد أوهموني أن ولادتي تمت في ذلك العام!

وربما -مرة أخرى- سأتلقى لكزة قوية في خاصرتي، فأنظر في العيون التي تنهر غبائي، فأعود للبحث عن خطأ جديد، و.. فعلاً أعثر على خطأ آخر: لعلني لا أموت، ما الذي يجعلني متأكداً من موتي حتى أكتب بهذه الجدية «وسأموت يوماً ما؟» من يدري!
أما لو حاول أي شخص أن يشكك في حبي لك فسيتلقى -بالتأكيد- لكمة قوية في منتصف وجهه!

*

وها.. أنا أتحدى روحي، أمسك بقبضتها مستندين بأكواعنا إلى هذه الورقة، حاشداً إيماني في أصابعي الخمس لأشيد لك صرخة حب تفوق معابد الإغريق، ومدرجات الرومان، وأهرامات الفراعنة.

أية امرأة أنت...؟

كيف سطوت على كل هذا البهاء، وأخفيت كنوز الأرض في ثوبك...!

سبحانك: امرأة بلون النار، وألقها، وحرارتها، وخطرها

أية كلمات يمكنها أن تحمل عاصفتي إليك..

ولأنه.. لأنه لا توجد لغات تقولك أقطف هنا زهرة روحي، وأضعها في آنية هذه القصيدة.

اربطي عربة الذاكرة
إلى خيول النبيذ
ولا تفسدي القصيدة يا ريم
وأنت تعبرين.. ها هنا.. أسوارها
قفي!
واستحمي خلف هذي الحروف
-أرسمها على شكل صخرة-
بنبع أفجره في صحارى الكلام

أشرقي في صباحها
وادخليها
حاذري أن تقصفي عشبة من
بساطها
واتئدي: (لا تطئي لوعتها)
اجلسي على عرشها
ولا تكنسي النجوم من سمائي
(لا تخبري الله
عن السحابة الصغيرة:
فرت من يديه
وحطت فوقها)

تمسكي باللغة جيداً

وطالبي قلبك بالخفقان الشديد
إنها قصيدتي تستعد للإقلاع
محملة بالجنون
كلماتها تضج بوحشتي
وتصفر في السطور جنادب الفواصل
أنشر أشرعتها

وهذي روحي أطلقها من صافرة القصيدة
آ.. هـ آآآآه
هلمي: امتطيها
وتناولي من يدي الآن
الريح، والسوط، والزمان
إنَّا فضلنا راحتيك على العالمين

*

وريم التي هنا:
أعني.. ارتكبت حبها
وارتبكت فيه
ريم وما..
و.. أدراني ما ريم: روحي شكلها لله مفردة
خارج الجسد الحطام
أصنع ضحكتها
أرتب مجلسها في العين

وأطهو لذتها في الكلام

ريم القصيدة والضحكة والحديث
ورفة الجفن
وارتباك الحياة
وانتباه الأذن للهمسة العابرة
ها هي..
-بلى التي تضحك-
انظروها!
تشاغب
تمحو اسمها
أو تؤكده

ألمسها
فتهرب كالظلال من أصابع الشجر
ها.. صدرها يفيق
يزيح ستارة القميص
ويطل نهدها
يلوح من شرفة الخالق، ويختفي

أجرجره في الكلام
يثّاءب

يغيب في فراشه الوثير

يغفو ولا ينام

ولا أكتفي، ولا اكتفي

أطارد برعماً على ثديها

(يا للخبيث) يفرُّ

ويقول: حان قطافي

أناديه في تمعنه:

يا محتال

أستغفله أم...؟

-جل جلاله- كم يختال!

ويعود ما كيف يقال؟

تراه!

أم ترى.. يربكه ارتجافي!

وتزوغ عن عيني هنا

تطير كالفراشة

وتترك ألوانها في الدين

فدعوني

أقتفي ضحكها

يسوقني

أناديها.

-تعالي قليلاً
«وأريد دهراً»
ألم روحك
أربط جديلتها
وألقتها على الكتف السعيدة
تراوغني..

فأطلقها
وأعود مخموراً للقصيدة
أحيكها كالحريق
أشعل شمعها
أقرع الناقوس في أبراجها
فاسمعيني.. واسمعيها

أهزّ روحي في الفضاء
أبعثرها
أهب الوباء لروحها
وأفتح في سقفها ثقباً
كي أرى الله
لكني، لا.. أراه
فآمره أن يكون
أريد إلهاً
(يكون لي رباً)

لقد مللت فارغ السماء

وهشمني انعدام اليقين

إلهاً: لأعبده..

أو: لأعصيه..

أو لآكله في السماء

إله تمر أو حليب

وحتى خرافة من هواء

فقط إلهاً

ولتكون سماواته السطور

جهنمه الحنين

وجنته تفرشها يداك

إلهاً

.. إلهين

ولكني، بركاناً في الروح

وجحيماً في اليدين

أهوي في القصيدة كالقربان

أصعد الصليب

أغادره للفضاء

فألمحها..

ريم تبزغ من سحابة

ترعى الآلهة في الصبح
وتسوقهم للسماء
(تسميها الزريبة)
في العشاء

*

وريم التي هناك..
ابنة قيصر كللته بلهوها
قبلته
وأمسكت بالرداء
طالبته:
-احضر لي القمرَ-
وغيمتين
ونجمة
وخيطاً من الشمس

و.. أرسلته للسماء
بابا وأيضاً..
-أعطته سلتها-
اقطف لي المطرَ
ونامت
-باكية-
تناديه في الخفاء
(يا ريم.. كفى!

هل هذه قصيدة
أم سجادة للصلاة؟

وأكتب منديلاً على دمعها
أهز القصيدة كالسرير
أهدهدها
ها.. بابا أتى يحمل المطرَ
-وأسمع صوت ضحكتها-
عاد «برداناً»
يريك قميصه المبلول
يهزه في البيت
فتركضين لتحصي الثمرَ

ويقول: إنك ما تعلمت الحساب
كفايةً
أعيدي من جديد
و.. انتبهي (لا تكسري القمرَ)
وتقول أمك: كفى!
استظهري الدرس
واذهبي للنوم
لا تبعثري العمرَ

فتذهبين للمسيح

تطأطئين القلب

وتطلبين

«احفظ أبي وأمي»

وتسألين الكبرَ

يا ريم لو أني المسيح

لابتسمت

ما أجبت

أنزلت يدي من الصليب

ومسحت روحك

أو قدتها ناراً

لكني.. أمامك هادئ

أعلو

وأخفت كالنشيج

أوَّد انفجارا

*

إنَّا ابتعدنا عن مشرق القصيدة

وارتفعت شمسك في سماها

يا ريم اسمعيني واقرئيها

كيف ابتدأنا من دفترٍ

وانتهينا إلى الهلاك

أين نحن؟

كم ابتعدنا؟

في أي عاصفة دخلنا؟
في أي حب قصيدتنا؟

هل علقت أرواحنا في الشرك
إني أرى انفجاراً هنا
وزوبعة هناك
ضوضاء
غباراً
فوضى و..
ارتباك
وإني أشهرها هنا:
ريمي أنا
ريمي أنا
ولا سواي، ولا سواك.

*

راء.. ياء.. ميم
تباركت أيها العشق العظيم
تحيي القصيدة و.. تميتني.

سيرة العائلة

1989

كتبت هذه القصائد خلال عام 1989

إلى ذلك العصر الذي مضى

والبيت الذي تهدم

والملائكة التي صنعت سعادتنا..

الجد: بموته تبدلت الحياة..

الوالد: كان بإمكانه وحده أن يفهم هذه المراثي

العمة: لا تزال تحمي ما تبقى من الزمان والمكان السعيدين

وتلفتت عيني فمذ خفيت

عني الطلول تلفت القلب

شعر قديم

البيت: العالم

وهل لهذه العائلة سيرة حقاً؟

العائلة الصغيرة المنكفئة على ذاتها، التي ترعى شؤون أبنائها وتخفيهم في صدرها كالكنغر، ولا تملك بين عدد أفرادها ملوكاً أو قادة أو نبلاء، وليس ثمة أحد من أبنائها قام بابتكار فيضانات أو براكين، أو أتى بمعجزة تستحق الذكر..

ربما لهذا تستحق سيرتها الشريفة أن تروى، فحياة العظماء ونبلاء المحتد وصانعي المعجزات هي من اختصاص التاريخ،

أما الشعر فهو يختص -على جلالة شأنه- بالبشر ذوي السريرة الطيبة، والإيمان العميق بأهمية الشرف في الحياة..

هذه السيرة البسيطة الخالية من المفاجآت، وحتى من أقل قدر من الإثارة هل تعني أحداً؟! ومن سيهتم لها ما دام المعنيون بها (أصحابها الحقيقيون) لم يعودوا موجودين، أو هم في طريقهم إلى الفناء، بعد أن أنهوا أعمالهم هنا على الأرض، وبذلوا ما باستطاعتهم كي تتفتح الأوراق في الأغصان الجديدة بحرية ومحبة وشرف.

لكن.. لعل ما يجعل هذه السيرة نافعة بل وضرورية وما يجعل روايتها على قدر من الأهمية -غير السبب الخاص الذي يبهج القلب بتذكرها واستعادتها كما لو أنك تستعيد ذكرى طائر مر في فضاء القلب والأذنين

والعينين وخلف في الروح أثراً لا يمحى، وسـعادة حقيقية دون أن يدري- ما يجعلها هامة أيضاً أنها قصة أرواح في كفاحها الفذ لتشكيل فردوس أرضي صغير من أبسط الأشياء وأكثرها بؤساً، وتحويل خيوط اليأس إلى نسيج شاف وبهي، ولي ذراع مصيرها مسلحة بقدر الروح البشرية على المقاومة، والظفر في معركة يائسة أمام أعداء أقوياء بتحويلهم إلى أصدقاء محبين، وتسخير عناصر الطبيعة لإنشاء الجنة.

بأشياء لا ترى: المحبة والألم والاندفاع، بطاقات الروح الجبارة التي امتزجت بالتراب فصنعت الوردة البهية عاشت هذه المجموعة البشرية، تألمت وفرحت، تغلبت على مشاق الحياة واكتشفت الضحكة في جوهر الألم. برهبة وخشوع أنحني على الأوراق البيضاء لأكتب سيرتها.

أشكل المكان: جداراً ونافذةً، أرتب أغراض البيت، ثروته وكنوزه، أجتهد ما أمكنني لأستحضر السحر والحنان والوحشة، وأعيد البشر إلى أماكنهم وعروشهم التي زالت بعد أن تقوضت المملكة، أستعيد من الذاكرة روائحهم وأصواتهم وملمس أصابعهم ولغة أعينهم، وأبني مملكة العزلة المجيدة والصمت الكئيب..

أحاول ألا أخونهم..

أتكئ على الحكمة التي ساعدتهم في الحياة وأبدأ سيرتهم.

***

لا أحد يدري من أين جاءت هذه العائلة الصغيرة لتبني عشها هنا.. كل منهم فتح عينيه على الدار الموحشة: غرفة من الطين، ومطبخ متداع يستعد للسقوط في كل لحظة، لكنه رغم تهديده اليومي والدائم بقي متماسكاً حتى هجرناه فانهار فوراً، وأرض واسعة جرداء حولها الحنان إلى حديقة مباركة، ارتفعت في جانبها شيئاً فشيئاً غرفتان من الحجر الأبيض، وارتج باب الدار على هؤلاء في عزلتهم السعيدة.

جدٌّ يعد أيامه على السبحة وينهيها تماماً مع الحبة الأخيرة التي يحركها ببطء شديد، شاهد قرناً كاملاً من الشقاء والترحال والسعادة البسيطة التي يعثر عليها في كوب الماء البارد، وخرافات عنتر بن شداد ومراقبة الحياة منذ الفجر إلى أواخر الليل، يحرس أخلاقها، ويصدر الأوامر لكل شيء وكل شخص.
وعمة وهبت عمرها لرعاية العائلة تماماً كما كانت ترعى حديقتها الصغيرة، وتبتكر من مخلفات البيت
-وما أندرها- الأعاجيب، ومن أكثر الأشياء بساطة تهيئ سعادة عميقة، ولها يعود الفضل في صيانة أرواحنا ونظافتها، ورائحتها الطيبة المصنوعة من الغار وماء الزهر والياسمين
والولد متعب يلهث ليعيل الأسرة، ويغيب طويلاً ليعود حاملاً طعامهم، وقشة جديدة تزيد في راحتهم، باسطاً حمايته على البيت.
وسط عزلة شديدة في المكان الموحش، وبين تراب الأرض الجاف كانت تخضر الأوراق وتبرعم، تخلص نفسها ببطء وثقة من مشيمتها، ومن حماية الورقة الأم لتولد البطء كان سمة ذلك العصر، وذلك المكان الأليف، وليس من

سبب للعجلة: ما لم يتم إنهاؤه اليوم سيقضي في اليوم التالي، أو الذي يليه.. المريض سيشفى، والزواج سيعقد، والابن سيولد، والذرية تتكاثر.

بدأب العنكبوت وبراعتها في الهندسة ووحشتها كان يعيش الناس، ويحوكون شباك عزلتهم، كما لو أنهم موتى أو في حالة احتضار.
ليس ثمة عواصف أو هيجانات، حتى الطبيعة كما لو أنها تتآمر مع إيقاع الحياة هنا فتخفف من انفجاراتها، لكن هذا الهدوء الممل كان يخفي عنفاً يعبر عن نفسك بعصيان هائل ويفضي دائماً إلى مجزرة أو ليلة سوداء تنفتح فيها أبواب السماء وينزل غضب الله على الأرض.

كان البشر جزءاً من الطبيعة، أو هي أمهم، ورثوا ملامحها، وتشبهت بهم، وصاروا كلاً واحداً من الهدوء البليد والعنفوان العاتي، وكانت الصواعق والرعود تختفي خلف زرقة السماء البعيدة، وفي خمول الحركات، رتابتها حيوية شيطانية مدمرة.
لم يكن لتقويم الزمن أهمية إلا بما يحمله: آية من القرآن، حديث شريف، بيت من الشعر، أو حكمة ما
(كلمة طيبة) تعين أرواحنا في صراعها المرير، لذلك كانوا يحسبون أعمارهم قبل وبعد الحوادث المفاجئة التي تدبرها الطبيعة على غير ما توقع، أو البشر أنفسهم في فوراناتهم العظيمة.

هنا وجدت العائلة الصغيرة نفسها، بنت معارفها، وحمت صغارها. ارتبطت المكان والهواء، وعلقت مصيرها ببرعم أبيض يتفتح في علبة السمن الفارغة - وقد حولتها العمة إلى أصيص يحتضن فلّتها- فيبهج الدار والنفوس، ولم نكن

ندري ونحن نقطفه ونضعه في كأس الماء الصغير قرب أرواحنا، أننا نعيد الإثم الذي اقترفه جدّنا الأول، وإنها الفعلة المحرمة: الخطيئة التي ستخرجنا من الجنة.

كان زماناً سعيداً، فرحه فرح حقيقي، ابتسامة تخرج من أعمق نقطة في القلب، وخزة تشعر من عاناها بأنه يودّع حياته، وليس من سبيل للنجاة.

أفراح وآلام عميقة وحقيقية، ولهذا كانت الكلمة الودودة، والمصافحة الشديدة حيث تمتلئ يد الإنسان بالإنسان، والعناق الطويل والخرافات التي تدخل في كل أمور الحياة تطيل الأعمار وتنقذ البشر من الفناء، في حين تسبب كلمة خالية من الحرارة الإنسانية، وملامسة لا تهيج الروح ذبولاً في الشعلة النورانية للإنسان تودي به.

بهذه الروح المصنوعة من الخرافة والإيمان العميق بقدسية جميع المخلوقات، والاحترام الكامل لفتات الخبز الذي يسقط على الأرض، فتمتد الأيدي لالتقاطه ورفعه إلى الجبين.

بوحشيتها في إراقة الدم البشري حين تثور، أو تتعرض للإهانة، وبحنانها وروحانيتها وهي تحنو على حمامة تحط في باحة الدار وتحرم اصطيادها.. بها تم بناء الجنة، وبآثارها الباقية في الأبناء والأحفاد لا يزال للشرف قيمة كبرى في الحياة.

***

هذه السيرة ليست تاريخاً، وليست مديحاً..

إنها لجوء إلى حماية الماضي، أستمد الشجاعة من البطولات الصغيرة، من كلمات الشرف والدفاع الفذ عن نظافة الروح في مواجهة العواصف، أستعين بهؤلاء الجنود البواسل في معركتي ضد البربرية، مسلحاً بإيمانهم العظيم، وطيور أرواحهم التي تحلق في الذاكرة والقلب والدم، وأشيائهم البسيطة اليومية التي رافقت سيرتهم

ومنحوها الخلود كي تعيد ما اختزنته من عنفوانهم إلى دماء الأبناء،

نعم؛

لقد مضوا إلى قبورهم: التراب عاد إلى التراب، ولكن أرواحهم لا تزال هنا تساعدنا وتحمينا، تقوينا في المصاعب، وتمنعنا من الغواية، وهذا الكتاب تمجيد لسيرتهم..

وليعني الله.

إهداء خاص

سـيدتي..

علي أن أشـكر لكِ هذه اللمسـات اللطيفة التي تضـعينها على حياتي، فأشـعر ببهجة غامرة تروض القسـوة التي حملتها معي طوال سـنوات عمري، وتختفي إبرة العقرب السـامة - وقد قُيِّض لي ن أكون من مواليد هذا البرج الملعون - لأقف خجولاً على أعتابك، وأسـخر أفعالي محاولاً رد قدر بسـيط من الحنان الذي منحته لي.

اسـمحي لي أن أهديك هذه القصائد وغيرها (ما كتبته وما سـأكتبه) وأنا الذي أوّد لو أهديك حياتي،

هذه التي كانت وستبقى دون جدوى لو لم أعرفكِ.

إليكِ..

عائلة

أين مضيت يا شجرة الكباد!
من يصنع الآن من ثمارك المرة الحلوى؟
أية عمة تعتني بك
تخاف عليك
تقلم أظافرك
تذكرك في صلواتها
وتتباهى بك كابنتها

وأي صبي يتسلق السلالم والجدران
ليطاولك منتشياً بقطف ثمارك
وأي جدّ يؤنبك
وأنتِ تتلهين بنشل قبعته من رأسه
وأية عائلة
تأتي في الأعياد
لتلتم في ظلالكِ
وتمتدحك

غادرناكِ جميعاً
بعضنا إلى القبر
بعضنا إلى الكراهية

وبعد أن نسينا على أغصانكِ سعادتنا

وتعلقت بأرواحنا

بعض من أوراقك!

الجدار

كم اتكأت عليه

ذاك الجدار!!

كم ساعدني لأنهض

آخذاً بيدي

ودربني على المشي

وصار دفتري

على بياضه تعلمت الكتابة

وحل مسألة الحساب

وحاصل الجمع

وخبأ في يدي واحداً

ما زال في راحتي

وحماني من الرعد في حضنه

كم تسلّقته الياسمينة

والشقوق

كم غدا عكازة لجدي

قبلة لصلاته

ومسنداً لجلسة عمتي في الصباح
يظللها بفيئه
ويرشها بالياسمين
يسند السقف
والدرج
و.. يسندنا
كم تبعثرنا
حين انهار!

احتضار

يا لوحشة هذا الكرسي
وهو يجلس مضنىً
كئيباً
ملقى على رأسه
يتملى في الجدار
غارقاً في ماضيه
حينما كان يرتاح عليه الجد
وتقدمه العمة بحفاوة للجارات

ويغدو منبراً لأناشيد الولد
يأتمنه الضيوف على مؤخراتهم
ونعتليه لتثبيت مسمار
وتبديل مصباح
وتناول آنية من الرف الأخير
يا له
لم يعد يقوى على حملنا
وما زال يذكرنا:
جلسات الجد الطويلة
حرارة أفخاذ الجارات على قشه المضفور
أنينه تحت جسد الضيف السمين
ونومته الأثيرة فوق نملية المطبخ
...
...
يا لوحشته الآن!

أيام الراديو

وحده يثرثر
في ركنه العالي

على الرف
يؤنس وحشتنا
ويرمم أرواحنا
يتلو القرآن للجد
ويغني للعمة

يتبعها صوته أينما تطوف
حين تنظف أرجاء الغرف
وتبدل موجته لتخرس نشرة الأخبار
تبحث في الأغنيات
عما يداري قنوط فؤادها
وينعش أحلامها الذابلة
والجد على كرسيه الخالد
-متأملاً في سره الغامض-
ينهره كي يؤذن للصلاة

أو..
يتعجله ليطلق مدفع الإفطار
ويفتحه الصبي
كنافذة في الجدار السميك
يسمع منه الحكايا
ويحوك أحلامه الفاتنة

* * *

وقتنا ملكه

كل يوم

على مهله

ينسج عزلتنا

ويطرزها بالأمنيات

تطول أيامه

وتمضي أعمارنا

يسلّها من أيادينا

ويبددها في الهواء

حشرة

تنام العتمة

وحيدة مقوسة الظهر

مكومة على نفسها

وترتعد إذ يفتح الباب

فتدب هاربة إلى أسفل السرير

تختفي في ظلال الملابس

وأعماق النفوس

ويلاحقها الضوء

ليعثر بها في زاوية عابسة
ويسحق جسدها بقدمه الساطعة.

راية

يا لحنانها
قمطة عمتي البيضاء
تسلها من شرشف الفراش الممزق
من قميصي القديم
من.. فقرنا
تداوي بها صداع الظهيرة
وتلف جرح الصبي
كيما تقيه الغبار

تدبرها كمادة لجبين جدي
إذ يغيب في حمى المساء
تدرك بها شقوق مدخنة البيت
ونزيف مغسلة المطبخ
تمسح ما تركنه الوحشة
على حياتنا من غبار

* * *

غارقة بدموع العمة

ودعت الجد إلى قبره

الوالد إلى سجنه

والصبي إلى غربته

يا لحنانها..

ما تزال تحمل عنها الهموم

تهدئ أوجاعها

وتعينها في الحياة

مشهد

عصر الجمعة

العمة جالسة

تحت نافذة البيت

على يمينها غسيل الخميس الجاف

تشك نظافته

تمتحن متانته

ترفو ما خَّلفته -في نسيجه- الأيام

والأحلام

بمكواتها ترتب فوضاه

تقسو على ياقة القميص وذراعيه

تحنو على ثنيه الإبط
والصدر تلونه وتسحره
الجد -من عرشه-
يوجهها
والصبي -على الأرض-
يرقبها
منهكة ترتيب فوضى الحياة

العمة في الليل

مساء
توصد الأبواب
تطمئن على البيت
وسكانه
هل غفت الياسمينة؟
هل سها الكباد؟
تدثرنا باللحاف
وسجادة الصلاة
ومعطف الجد
وأنفاسها
تودعنا:

تقبلني في الجبين
تلم يدي تحت الغطاء
وتسهر: تحرسنا
تطرز ملائكة الأحلام
على ضوء شمعتها الشفيف
تحيك الثياب: تنسج ثروتنا
تقلقها سعلة الجد
وصرخة الصبي في المنام
فتدنو
تجلس عند رأسينا
ترتل قرآنها
مهمومة لا تنام

العمة في الصباح

ترتبني
تزرر عروة القميص
تحشرني في سروالي القصير
والجورب الأبيض
والحذاء
تسرح خصلات شعري

تردها عن جبيني
تشمني وتضمني
تنحيني عن يديها قليلاً
كي تراني
تلفني حول نفسي
وتعيد فكي
و.. آسفة تفلتني
ملمسي في يديها
وقلبها معي

نزهة مع العمة

كتفها نافذتي الأولى
يا ما استندت عليه
وأطللت منه
كم رأيت؟
دهشت!
وفرحت..
تحملني
وتجوب بي الأرض
تكنز في عيوني

خضرة الشجر

وزرقة السما

البشر

الحكايا

ذهب الشمس

وفضة القمر

تفسر أسرارها

وتفك غوامضها

تبني خرافتها على مسمعي

وتكدس أحلامها في فؤادي

كم خرزة زرقاء

علقتها على صدري

لتحميني من الحساد!

كم صلاة نذرتها

لأشفى!

كم دعاء

كي يتحول بين يدي

تراب الأرض إلى ذهب!

كم.. وكم..

حمتني من ضربة الشمس

ونسمة الهواء

فتضمني في صدرها

تسبل عيني: تغلق شباكها

وتعديني للبيت

الحلاق

من ينسى رنين مقصه

يسلي نفسه

ويقص الهواء!

كرسيه الملوكي

مسند الرأس المتحرك

مرآته الكبيرة: تربكني

رائحة عطره الرخيص

وفوطته البيضاء!

من ينساه؟

صلعته اللامعة

ثرثرته في خبايا الحارة

خبث نظراته

تجول في الصدور

نهمه: نشم رائحة الطعام في معدنا

دورته حول رأس الوالد

ينبهه لقلة شعر الصبي

ويبتكر له الأدوية

لمسته الحنونة على الرأس

حركة خيطه ينتف شعر الخد

موسى الحلاقة

يتمنى الصبي أن تلامس ذقنه

نُتَف الشعر تدخل في فتحة القميص: تشوكني

ماكينة الجز تدغدغني

فرشاته تطرد بقايا شعري المقصوص

يأخذني الوالد إلى صالونه

مشعثاً.. مرتبكاً

فيعيد ترتيبي

ويبني صورتي

على هيئة الملاك

ظهيرة

منهكون في قيلولة الصيف:

الصبي وسط الغرفة

منكب على كراريسه

يستعصي عليه إيقاظ الربيع

في وظيفة الإنشاء
والعمة تحت شباكها
مشغولة في مصروف البيت
تعده على أصابعها
وتعيد حسبته
والجد في الأعالي
غارق في الحكايا
يخلص عنترة من أسره
كي يدبر مهر عبلة
والملائكة على أكتافنا اليمنى
تسجل حسناتنا
وملائكة الكتف اليسرى
تحصي السيئات

الله

صباحاً
- في غفلة عنّا -
تفتح الباب
وترنو للسماء
تناديه وترجوه

ليحفظ قوة الجد
ويطيل أيامه في الحياة
ويحمي الوالد في غيبته

ويعين الصبي
(يهدأ نفسه)
تسأله حوائجها
ويرافقها في يومها
تبدأ باسمه الطعام
وتذكرنا أن نحمده
فنحمده
تستغفره -ونزوات الجد تغضبها-
وتستنجده: يا رب

-عكازاتها في النهوض-
ليشفي آلام مفاصلها
والعمة تخشاه..
(أرى ارتجاف سبابتها
في الصلاة
عيناها باكية
ويداها مرفوعة للسماء)

تأتمنه على البيت
في غفوة الظهيرة
يحوطنا ويرعانا
يساعدها
باسطاً -من حولنا- طمأنينته
في الهواء.

زيارة

مساء الخميس
نصعد إلى المقبرة
على أكتافنا الأغصان الخضراء
في أيدينا الماء
الذكريات تهيج أرواحنا
وعيوننا تفيض بالدمع
ونعود من القبر
فارغين
إلا من الحياة!

أشباح

تغطيني العمة

تمنحني رضاها

-في حضنها أغفو-

وحفيف صوتها في الحكاية

يوقظ أشباح الليل من رقدتها

فترشح من خابية الماء

وتنسل من خيوط البساط

وتنفذ الغولة من بلور الشباك

تركض في الجدار

معولة

يفزعني بريق عيونها الخضر

ورنين ضحكتها

فألف نفسي بالغطاء

لأطردها

(والعمة تفهمني..)

تخبئني فيه

وتحميني

وتطردها..

الوالد

يدخل الوالد الآن

يفزعني ظله

ويفسد لعبتي

يؤنبني..

كيف أهملت الوظيفة!

هل أخطأت في الإملاء؟

جدول الضرب لم أحفظه!

وراوغت في قسمة عشر تفاحات

على عشرة أولاد

وأكلت أكبرها.. الصفراء!

يشدني من أذني

ويبكيني

-والعمة تفصلنا تخلصني من يديه

وتحضنني-

ويعود في المساء

يده على كتفي

تطمئنني

يلّون سهولي في دفتر الرسم

يعلمني مكان الهمزة بعد الياء

يده على كتفي

كم قبلتها!

كم عاونتني في الحياة!

شيطنة

تغيب العمة في صلاة العصر

وتطلقني -مرغمة-

من يديها

تتابعني

أنط إلى دالية الجيران

أعض مخمل خبيزتها الأخضر

وأفسد فلتها

وصوتها يعلو في آية القرآن

يؤنبني ويرجوني

أغافلها في سجدتها

راكضاً أطارد اللصوص في الهواء

ألون الغسيل

وأكسر خابية الماء

بعينيها تحرسني و.. تربكني

وأهوي إلى الأرض

فتهرع -من صلاتها- تنجدني
أغيب فيها
وتغيب فيَّ

مرآة

عالية
نتسلقها فرادى
نلتم فيها
نساررها فتفضحنا
يبصر الجد في بلورها
احمرار عينيه
وتخفي العمة أيامها فيها
تلون أحلامها
وترسم للصبي شاربيه
.. مطمورة أيامنا
تمشط أحلامنا
فتبعثرها الحياة

وداع

يكبر الآن الفتى
يبزغ شارباه

ينأى عن طفولته

وتنبت له الأجنحة

وحده يمضي ساهماً

يوصد – على شقاوته – الباب

ويتشيطن في القراءة والكتابة

يزور الجد – إلى قبره –

يحمل الآس

ويقرأ على روحه الفاتحة

يشاجر الوالد

يشاكسه

ويعصي وصاياه

يودع العمة

يبكي في حضنها

(فردوسه المفقودة)

يقبل راحتها

(فضائلها في روحه)

ويحن إلى أمسه

تحت سلطانها

.. وينأى

حاملاً أحلامه

ملوحاً لأيام العائلة..

(...)

أخرج من هذه القصائد لا كما دخلتها

غيرتني كتابتها، وأنا أنحني على سبيكة العائلة مجنداً روحي لصياغة هذه الأساور والخواتم والأقراط من معدنها الغالي، وأسل من الهواء حيطان الدار ونوافذها وأبوابها، وروائح البشر الذين منحوا ذلك المكان والزمان عطره الخالد.

أنهيت تطوافي وما خلصت ذاكرتي. بقي لدي الجوهري الغامض، ما لم أتمكن من اصطياده بشباك اللغة، ما تخفق اللغة عن إحاطته والتقاطه من أزلية الزمان لتجمده في صورة ثابتة.

في خشوع أنحني على أيدي الجد والوالد والعمة أقلبها، وأقدم لها الطاعة، أنتظرها تمر على رأسي في حنان، وأنتظر مباركتها ورضاها، تفتح أمامي الطرق، وتذلل الصعاب، تقف إلى جانبي كي لا أخاف أو أتراجع أو أجبن، وتمسكني حتى لا أنساق أو أنحني للإغراء. لديها من القوة والتأثير من جعلني أشعر بها إلى جانبي طيلة ثمانية وعشرين عاماً حاضرة مسيطرة.

أوصد باب البيت، أغلق نوافذه، وأسدل ستائرها المطرزة وأخرج؛ ليس من مكان يحميني ويحنو علي كما فعلت جدرانه وسقفه الخشب، وليس من نافذة فتحت الأرض أمامي وبسطتها لعيني وخلصتني من عماي إلا نافذته.

أحمله معي وأبنيه في روحي. ألجأ إليه لأستريح.. خيمتي أشدها إلى الأرض لأتقي العواصف.

أحمل كلماتي وأسافر إليه، أقرؤها على مسمع من ترابه، وأنتظر الإذن..

أمضي إلى قبر الوالد أرتلها وهو في عرشه الأرضي ينصت لي، وفي حضن العمة أنهي مسيرتي وألمح دمعها يقدم لي أقصى ما رجوته من كتابة هذا الكتاب.

لم يعد لي ما أرجوه.. وأنا أغلق الصفحة الأخيرة فيه. سيئاته لي، وحسناته من فضائل العائلة، فيه أيامي

وأحلامي ووصيتي، وسأكون في غاية الامتنان لو وَجد يداً تمسكه بحرص على أنه سيرة لبشر وعصر

ومكان.

أرتج الباب و..أمضي.

ما تبقى من كلام

1991

كتبت هذه القصائد خلال عام 1990

خذي القصائد وامنحيني السلام

حركة

منذ ثلاثين عاماً..
مشغولة بإبرة التطريز
وقماشة العمر على ركبتيها
بكل مهارتها تغرز الخيط في النسج الحزين، الحزين
وعلى مهلها تنسله وتشبكه
تلون وردة يوماً، ويوماً..
تطيّر – في سماء الحياة – اليمام
وأنا من مكمني (على بعد مترين، وثلاثين عاماً...)
أتملى هديل يديها
تفرش في الروح السلام

موعد

مرتبك على بابها منذ سنين
تفتحه وتدعوني
و.. آسفة (بحة صوتها تمنحني المكان)
تلم ما أهملته من ثياب الليلة الماضية
(قبل سنين..)
ما تثرته لما تعرت مبدلة منامتها، قبل ساعتين

وتخفيها عني
ترها تلملم عن قلبها كل الكلام
وتفتحه، وتدعوني!

مساء الخريف

في المساء الجميل، مساء الخريف
مشتتان
بعضنا في الشتاء، وبعضنا في الصيف
في يدي ارتجاف، وعلى وجهها حزن خفيف
أيُّنا سوف يفلت من رعشة الارتباك؟
أيُّنا سوف يبدأ، كي يبدد هذا السكوت المخيف؟
أيُّنا سوف يقول كثيراً، كثيراً..
عيناه مسبلتان ليخفي ارتباك الكلام
يداه تشرحان الحب، تعينان الصوت الضعيف
أيُّنا سوف يصمت طويلاً..
ويغرق في عتمة هذا المساء الشفيف؟

هذا الحب

كأنما روحنا سقف توتياء

وهذا الحب مطر
كأنما تدلف منذ سنين
ونداري طوفاننا بالدعاء
لكن، كأنما كل الفصول شتاء!

قمر السادس والثلاثين

إلى 6 تموز

ستة وثلاثون عام
متكئة على إفريز شباكها
تحدق في بلور الحياة
وفوق عريشتها قمر -في السر- يغازلها
ويسلي وحدتها، يضئ عتمة السماء
ستة وثلاثون عاماً
على سنارة الصوف تحوك سعادتها
وتنسج على نولها المكسور خيطان الهواء!

أمسية الشتاء

بعد العاشرة، ليل الخميس، في الشتاء
حاذيتها في الطريق

تلعثمنا في التحية

بردنا، ناولتها شالاً من حرير الروح

ودفأني صوتها في الصقيع

سكتنا

ليل الخميس، أكان الخميس؟

في الشتاء، أكان شتاء؟

قصيدتها

إلى 1990/1/28

من سيهديك ورداً يوم الأحد؟

من سيهتم بترتيب أسرار هذا المساء؟

بلون الإناء

بغطرسة الشموع تختال على شرشف المائدة

من سيأتي بالنبيذ، ويرفع نخب الحب

ويشعل في الروح نيرانها الخامدة

من سينصت إلى بحة الناي في صوتك

إلى هديل الحمام في رفة الهدب

ويحيا فردوس هذا اللقاء؟

من سيهديك يوماً، يوم الأحد؟

لا أحد.. لا أحد..

ينقصنا النبيذ

كان ينقصنا النبيذ في أمسية البارحة
ينقص شعرك وردة، ليعبق هذا المساء
تنقصني جرأة الحب، لأخفي في يدي شحوب يديك
كيما أصر عليك: لتبقي إلى آخر العمر. أحب حياتي
لديك
كيما أقول -وأنت تلمين ورودي الجارحة-:
أخاف، أخاف من لهو أشواكها تفسد مخمل راحتيك
كيما أقر اللحظة: عشنا عمرنا كله البارحة..

منام الحب

شكراً ليوم الأحد. للمسته الحنون على القلب في المساء
لاختلافه عن الأيام
وشكراً للساعة السادسة، لإيقاعها السحري
لآلام انتظارها
لنهايات كانون الثاني، تمسح عنا الحزن
لزمهرير منتصف الشتاء، للياليه البيضاء
للسنوات الأخيرة في القرن
لنادل المطعم، وحاشية من الخدم

للذين رعوا هذا اللقاء

للريبة في عيونهم وهم يسعون لنجدة العاشقين
للشمعة، للكراسي، للمائدة، للقهوة المرة، لبعض الماء
لالتماعة الحب في العيون، لهذا الجنون
لارتباكنا في الكلام
لحديثنا الصامت، لوداعنا الضاحك، لنهاية المنام
لساعتين عبرنا فيهما..
أي حب

أي حب في قلب الشاعر، أي جنون؟
يضن به عليك، ويفضي بآلامه للقصيدة
يخفيه في بحة السعال، في لهفة السلام
في رعشة اليد على فنجان قهوة الصباح
في إعجابه المكبوت، بالأخضر الحزين على قماش الشال
بفيروز كنزة الصوف، ترتاح على صدرك
بروائح النعناع في صوتك، بالكلام الحنون
-على الشفة المخمل – يهدأ وجع العاشق
أي حب في قلب الشاعر، أي جنون....
يسهده الليالي كلها، يأتيه في الأحلام
ويخذله في أبسط الكلام...

جنة المساء

جمعنا الحب عشية الثلاثاء
جمعتنا سماحته، وعتمته الخفيفة
لما – في دهاء الصوف، في تكتمنا الشديد –
لامست يدك هنيهة يدي، تصامتنا في الخفاء
لما نسينا الكلام، وتساررنا حديثاً معجزاً
جمعنا الحب في السرور البسيط على مائدة العشاء
في خبث بسمتك، وحنو نظرتك
في الأحمر السكران على الشفاه، وشرود عينيك
وفي وداعنا الهادئ عند سياج جنة المساء
وما زال في الروح كلام..

تركنا الكلام

تركنا الكلام على مائدة «فرساي»، تركنا الكلام
تركنا شمعة الحب موقدة
وحفيف ثوبك على كراسيه
ملمسه الرقيق حين ينثال على الساق
(من أين يأتيه الهدوء الآن...؟)
كسرنا أقفاص حزنك، وأطلقنا الحمام
شربنا النبيذ، وتفتحت وروده فينا

سكرنا من أمانينا: بكينا
شبعنا من الحب، أكلنا من موائده
اكتفينا من رحابة الأرض بحضن هذا المكان
واختصرنا في ساعتين الزمان

أتأتين؟

أمس هيأنا لموعد الحب المكان الأمين
تخاصمنا بأي الثياب ستأتين
: بالقميص السكري (يا لغبطته) لّما يشف
- في تململه الخطير، في ملمسه الطري – عن الصدر
بسواد الكحل على الرموش، وقبلة الحب في تفتحها
السعيد
وتسريحة الشعر البهي تضيء وجهك
ويديك لو تنسيان لحظة ألم السنين
وتبنيان ها هنا جنة للعاشقين
.. أتأتين؟

القصيدة الخاسرة

وداعاً لهذي الحياة.. وداعاً لأحلامنا المشتهاة
خسرنا موعد الأحد الجميل. مخاطره. خفاياه
وداعتنا، وخشيتنا، وجلستنا: كأن مساءه سجادة
للصلاة
خسرنا النبيذ الجليل، يفيض في دواره اللذيذ
بكل شجون القلب، بكل هذا الحب على الشفاه
خسرنا.. خسرنا
وخسرنا -فيما خسرنا- الحياة

امنحيني السلام

امنحيني فرصة كي أنام
يقلبني حبك في الفراش، يمرمرني
امنحيني لمسة، موعداً.. لو في المنام
وأفهميني
كيف يمكنني لما تغيبين في رفة الجفن لحظة عن عيوني
كيف يمكنني السلام!

سرب حمام

كان حديثك هذا النهار سرب حمام
يحط على باحة روحي، وينقر من شفتي الكلام
فأصغي إليك، وأمضي أفكك ألغازه
وأصغي إليك، لأبصر إيماءة الحب
وأصغي إليك، وأصغي إليك.
حرام عليك حرام

***

كان حديثك هذا النهار يعرش في القلب كالدالية
ينمو عليه، ويحنو علي، وتخر أوراقه في مقلتيا
يُسكر حتى الحجر، وقلبي أرق من الورد
إذا مال عنه الكلام انكسر...

يحيرني الشاعر

يحيرني الشاعر في قصيدته
كيف يسكبها، ويعيش ميتتها، ويمدها بالحياة
تحيرني ارتعاشته، كبوته، سجوده في الكلمات
تحيرني شجاعته، صلابة روحه
حين يرفع من دمه إليكِ الصلاة

على عجلٍ..

تركت على الكرسي شالها الأخضر الحزين
نسته في مطلع القصيدة: أشجت روائحه الكلام،
وغادرتني
على عجلٍ قبلتني، على عجلٍ «نلتقي» ودّعتني
سرحت شعرها في عيوني، خلفتني في الحنين
تركتني، تركتني
على عجلٍ حلمت كل أغراضها ونسيتني...

كأنها بنفسجة

كأنها بنفسجة فتحت في رمال العمر
انحنيت إليها، وحنوت عليها
نفذت روائحها في دمي: أربكتني
كلمتني. قبلتني. يا إلهي: قبلتني
رمت كل ملابسها، وارتدتني..

قليلاً

لو يطول الطريق، ويبعد بيتك عن مشيتنا، وينأى قليلاً

لو نضيعه، وتمن علينا الشوارع (لو بمترين)

لو تبطئين الخطو

أو.. يحدث ما يحدث، ما يشغلنا

كيما نؤجل الوداع

ونمشي معاً لنذكر (أو ندعي) أنّا ضللنا

ونرجع من حيث أتينا، ونعطى من الحب دقائق

* * *

آه... لو يغدو الطريق طويلاً، طويلاً..

لو أنكِ

لو أنك الآن – في هذا المساء المبارك إلى يميني

لو أنك الآن...

لوسدتك روحي، وأنهيت كل كلامي

وقلت – حانياً عليك، على كآبتك.. – قلت: نامي.

على الرغم مني..

على الرغم منها، من كآبتها

... حين يشحب وجهها، حين تديره عني

وتخفيه في صفحة من كتاب

فيما تبدد من ذكريات

على الرغم مني

- حين تلم سجادة الحب من كل الكلام

وتبعثر في لحظة ما بنيناه، ما بذلنا فيه من دمنا –

هي

-وحدها-

ملجئي في الحياة

سامحني

اعتدت أن أبدأ بك يومي

أن أطمئن على صورتك بين جفني وعيني، قبل نومي

أن أراك في منامي

ألا أموت كيلا تغيبي عني

سامحيني

فقد فعلت ما فعلت، كي تلمسي جبيني!!

كأنما لا تعرفين

.... كأنما لا تعرفين

بما خلفه على الشرشف الأبيض (بعدما بعثره الحب)

ملمس اليدين
بما تركته خفقة القلب في طية الوسادة
دفأك على الكرسي
رنين الأساور في معصميك
ومن كلام الروح طرزت في حياتي جملتين
وغبت بعدما أودعت في صوتك، خطوتك، عطرك
كأنما لا تعرفين

طبيعة غير صامتة

أنحتاج غوغان ليرسم عرينا
ليضفي حنطة على سحر الجسد
ويهيئ من نبتة المنزل غابة، يلهو فيها الولد
أم نلون حول رأسك هالةً من ذهب
ونلتم تحتها خاشعين
أم.. نكتفي ببلور مرآتنا
يجمعنا ويقسمنا، كأننا نصفان من جسد!!

كيف يمكنني؟

كيف يمكنني أن أقول وداعاً، وأمشي

وعلى يدي حنان يديك
وفي روحي نشيج مرير، وفيّ، وفيّ...
فإذا ما غادرتك غادرت نفسي
كأنما إذا ما مضيت وحدي
أسير في جنازتي حاملاً نعشي

في يديك

ستأتي قريباً إليك
ستأتي
مكسورة روحها، في عينها دمعة، وقلبها يطلب العفو
وتبكي، وتبكي...
وتفرش من حبها غطاء السلام عليك
فتلم دمعتها، وتواسي النشيج

يكفي
وتلثمها وتغفر..
إنها ها هنا في يديك

شكراً

شكراً للعذوبة في المرحبا إذ نلتقي
للدلال يملكني الأنوثة كلها
لغمازة الخد
لليد، إذ تغيث كفي الباردة
لوادعة الحوار
رقدته السماوية في القلب
للراحة الوثيرة تسوي ياقتي
تهدئ ارتباكي، ويهفوا إليها خدي
ويغفوا عليها...

لبهجة نلمها من مساءات الخريف،
من غيمه، من لسعة البرد الخفيف
لشهوتي كي أراك
-يا ليتني من فرو الثعالب كيما أرد البرد عنك –
شكراً إذ تضحكين من أماني البسيطة
إذ بالضحك البريء تمنحين الروح للأشياء
فيصالحني النبيذ
وأرقُّ
وتهجرني كآبة المساء

لتكتمل القصيدة

كم زهرة سنحضرها لتكتمل القصيدة

نرتبها ونفردها

ونرش ماء الورد على اليدين لنكتبها

كم آهة تنساب من سرير الشعر

ونتبعها، وندركها

كم دماء سننزفها..

كم ميتة سنموتها لننعم بالحياة!؟

حكم البابا

كاتب صحافي وسيناريست وشاعر من سوريا

حاصل على دبلوم في التأهيل الإعلامي من معهد الإعداد الإعلامي بدمشق 1982، وإجازة في النقد والأدب المسرحي من المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق 1991.

كتب في مجلات وصحف «فلسطين الثورة» الفلسطينية 1980/ «هنا دمشق» السورية 1985-1987/ «تشرين» السورية 1987/2007.

كان مراسلا من سورية لمجلات وصحف «الجيل» المصرية 1999/ «الفن السابع» المصرية 1998- 2000/ «صباح الخير» المصرية 1998-2002. / «القاهرة» المصرية 2000 –2001.

كان مندوبا لمهرجان الإسكندرية السينمائي بدمشق بين أعوام 1998- 2002.

أعد وكتب برنامج (على مسؤوليتي) التلفزيوني في محطة MBC 2001- 2002.

رأس تحرير العدد الأخير من جريدة «الدومري» السورية، والذي تمت مصادرته وإغلاقها بسببه عام 2003.

كان متعاقدا مع جريدة «القدس العربي» اللندنية خلال أعوام 2005/ 2006/ 2007.

عمل محررا سينمائيا لموقع العربية نت الالكتروني في عامي 2006/ 2007/2008.

كتب في عدد من الصحف والمجلات مثل «النهار» اللبنانية، «العرب اليوم» الأردنية، «المحاور اللبنانية».

صدر له

شعر

عصيان (1982) شعر.

مر من هنا (1984) شعر.

أكبر من جحيم.. أصغر من تنور (1985) شعر.

عم صباحًا أيها الشقي (1985) شعر.

سورة ريم (1986) قصيدة.

سيرة العائلة (1989) شعر (دار الأهالي: دمشق).

ما تبقى من كلام (1991) شعر (دار الأهالي: دمشق).

كتب أخرى

أحلام أبو الهنا (1997) سيناريو تلفزيوني.

كتاب في الخوف: شاهد عيان على الصحافة السورية (2005) نقد (دار كنعان: دمشق).

وطن بالفلفل الأحمر (2007) نقد (مركز الراية: دمشق).

الأعمال الدرامية المصورة

سبع طوابق /سهرة تلفزيونية/ انتاج تحسين القوادري 1993.

عائلة خمس نجوم /مسلسل تلفزيوني 30 حلقة/ الشام الدولية للانتاج السينمائي والتلفزيوني 1993.

أحلام أبو الهنا (بالاشتراك مع سلمى كركوتلي) /مسلسل تلفزيوني 30 حلقة 1996.

حياة على طريقة الكومبيوتر /سهرة تلفزيونية 1999.

عائلتي وأنا /مسلسل تلفزيوني 33 حلقة 2000.

قلة ذوق وكترة غلبة / مسلسل تلفزيوني 40 حلقة 2002.

أيام الولدنة / مسلسل تلفزيوني 28 حلقة 2005 / 2006.



أخرج من هذه القصائد لا كما دخلتها

غيرتني كتابتها، وأنا أنحني على سبيكة العائلة مجنداً روحي لصياغة هذه الأساور والخواتم والأقراط من معدنها الغالي، وأسل من الهواء حيطان الدار ونوافذها وأبوابها، وروائح البشر الذين منحوا ذلك المكان والزمان عطره الخالد.

أنهيت تطوافي وما خلصت ذاكرتي. بقي لدي الجوهري الغامض، ما لم أتمكن من اصطياده بشباك اللغة، ما تخفق اللغة عن إحاطته والتقاطه من أزلية الزمان لتجمده في صورة ثابتة.

HAKAM AL BABA

THE COMPLETE POEMS

9 781326 202217

Jidar
Culture & Publishing